دقن وجلابية

محمد بربر

مقالات



دار اكتب للنشر والتوزيع

دقن وجلابية

دقن وجلابية

محمد بربر

تدقيق لغوي : د.إيمان الدواخلي

تصميم الغلاف : عمرو الحو

رقم الإيداع : ٢٠١٣/٣١٥٦

I.S.B.N:٩٧٨- ٩٧٧- ٤٨٨- ٢٠١- ٢

دار اكتب للنشر والتوزيع



الإدارة : ١٠ ش عبد الهادي الطحان من ش الشيخ منصور، المرج الغربية، القاهرة.

المدير العام : يحيى هاشم

هاتف : ٠١١١٠٦٢٢١٠٣ - ٠١١٤٧٦٣٣٢٦٨

مكتبة اكتب : ٤٠ ش أحمد قاسم جودة من ش عباس العقاد ، خلف سيراميكا كليوباترا ، القاهرة.

هاتف : ٠١١١٤٣٢٨٥٢٥

E – mail :daroktob١@yahoo.com

دار اكتب للنشر والتوزيع : Facebook

الطبعة الأولى ، ٢٠١٢م

إهداء

إلى التي تدق أجراس الهاتف، فتدقُ أجراس الدنيا كلها، إلى التي تأتي كما كل اللحظات الحلوة. .

إلى كل ضحكة تسري بيننا كلما مضى بنا العمر..

إلى أميرتي الساحرة. . على شاطيء البحر. . حيث يرمي الرجل سنارته. . يحكي الليل أسرارنا.. وتبقى ضحكتك لأنك كل شيء

المقدمة

صديقى القارىء.. لأن مؤلف هذا الكتاب يؤمن أن "ربنا عرفوه بالحب" ولأنه شعور وقح.. أن يندهش أحدهم بسبب معجزة كتابة "لفظ الجلالة" على تفاحة، ولا يندهش من خلق التفاحة نفسها.. أو أن ينعتك بالغبي، ويصدر لك الجملة الشهيرة "قل موتوا بغيظكم" بسبب أنك تناقشه في أن مرشحه "أمه أمريكية" أو أن نهضته تذكرك بأحلام يقظة تستغفر ربك كثيرًا كلما مرت بخيالك وقت أن كنت تعبر سن المراهقة. . وقبل أن يفشل في استمرار نقاشك حول الحاكمية في الإسلام، ولأنني زمالكاوي وأنت أهلاوي واحنا الاتنين في بلد يخلط المياه بالمجاري، والكهرباء بالزبالة، والتدين بالتعصب، والتسامح بالخيانة.

إذا كنت مصرًا على اقتناء نسختك ووجع "دماغك" بما يحدث في بلادنا الساهرة الساحرة، قبل تنفيذ قرار الحكومة بالنوم مبكرًا وإغلاق المحلات في العاشرة مساءً، لأنها سنة إلهية عليك تنفيذها، فإنك بالطبع ستحتار معى في أمر النظام الذى يحذر أنصاره من خطورة "الطرف الثالث"، مثلما كان يحذر نظام مبارك المفضوح من "القلة المندسة."

أحيطك علمًا.. أنا مثلك تماما.. أؤمن بأن خطاوينا قد ضلت الطريق.. قتلنا الاستقطاب.. دعاة الفتنة ونخبة التوك شو يتربحون.. والوطن يخسر.. دماء جديدة والمتهم حر طليق.. شهداء ثورتنا عند ربهم وحقهم في رقبة رئيس الثورة، لكني أؤمن أيضا أن ثورة لا تحاكم من قتل أبناءها هي ثورة لم تكتمل.. وأسألك: لماذا الفرصة الحمقاء تحكمنا ؟!

إن أسوأ أنواع الفساد هو الذى يرتدى ثوب الفضيلة، وأصدقك القول: نحن نعظ الغرب حول احترام الأديان، فيما تعاني المنطقة العربيّة من حمّى حرب طائفية، بعدما وجه العرب طاقاتهم على اختلاف معتقداتهم إلى نزالات يومية على ساحات الإنترنت، فيما قفز فيليكس قفزته الشهيرة، ولا يزال يقفز ومعه العلم والعمل، إن قضيتنا ليست خلافا في "الدين" وإنما في كيفية أن يتوفر للمواطن حياة كريمة، ليرزقه الله سعادة الدارين.

جملة أخيرة: لا تصدق كثيرا إعلامهم الذي يتحدث عن إرهابيين مسلمين، فإله المسلمين اختار لنفسه اسم "السلام" وفرض علي عباده عقيدة المحبة والتسامح، وهناك من معتنقي اليهودية والمسيحية والبوذية واللادينيين أكثر إرهابا وجبنا وجهلا.. لكن صدِّقهم جدا حينما يقولون لك إنه ليس كل مسلم متطرفا، لأن – وبصريح العبارة– التطرف لا دين له.

الاعتصام بالجماعة والألفة أصل من أصول الدين، والفرع المتنازع من الفروع الخفية، فكيف يقدح في الأصل بحفظ الفرع؟

شيخ الإسلام ابن تيمية

بلاد لم تعد كبلادي

لأنها أم الدنيا، بلد العجائب والغرائب، التي يحج إليها السائحون من كل صوب وحدب، طلبًا لمتعة أمام عظمة الفراعنة، وعبقرية صناع الأهرامات، وهندسة المتاحف الإسلامية والقبطية، مع طبق كشري تتصاعد منه أبخرة تحمل رائحة شطة حمراء في خلطة مصرية خالصة، لا تقدم إلا في مطاعم الحسين وشارع الأزهر، أو يحج إليها – والحج سبل وطرق – إخواننا العرب من سكان الخليج بحثًا عن ليلة ناعمة في شارع الهرم، واستمتاعًا بجسد راقصة، كلما تقدّم عمرها قدمت تنازلات عارية من أجل البقاء على عرش الكباريه، لتفسر، هي وصديقاتها من فنانات بعد منتصف الليل، السر الذي يجعل فيلمًا مثل "شارع الهرم" والذي يؤدي بطولته ثنائي من نفس الشارع والمهنة تقريبًا، ينجح وتبلغ إيراداته ملايين الجنيهات في أول أيام عرضه، على الرغم من كم الدعوات التي أطلقها أولاد الحلال لمقاطعة الفيلم، وكان دافعهم في ذلك أن شوارع الهلس وأفلام العري لا مكان لها بعد ثورة التحرير.

وفيما يتعانق أذان الشيخ صاحب الصوت العذب مع جرس الكنيسة في وسط البلد، يجلس المتطرفون في اجتماعاتهم، ولا يهدأ لهم بال، قبل أن تتحوّل مصر الحلوة على أيديهم إلى صراعات وفتن، فريق يخون آخر، وجماعة تُكفِّر الجميع، ونفر

يطالبون بالتدخّل الأجنبي لحمايتهم، ولا أدري هل أصبح من الممكن أن يطلب المصري الحماية من أجنبي خوفًا من إخوانه أبناء الوطن الواحد، والسؤال البديهي الساذج: هو احنا كلنا خونة وأنت الوطني الوحيد في البلد؟!

لا أفهم – صدقًا – لماذا إصرار البعض على إشعال الفتن، وإطلاق حملات التخوين، حملة تلو أخرى، وتمتد الحملات لتبدأ من التمويلات الأجنبية – الأمريكية والخليجية – وحتى أسرار بعض النشطاء السياسيين الجنسية، وكأن بناء هذا الوطن هو حكر لجماعة دون أخرى، ثم نأسف جميعًا ويتملّكنا الحزن والأسى على هذا المشهد العبقري الذي جمع كل مصر في لوحة ميدان التحرير في ٢٥ يناير الماضي، غابت الوحدة وعمت المصلحة أرجاء الميدان.

في مصر وحدها، ستجد المسلم والبهائي، الأبيض والأسمر، شط إسكندرية ونيل أسوان، أم كلثوم وشيرين عبد الوهاب، وائل غنيم ومحمد علي إبراهيم، سعد زغلول وسعد الصغير، ولأنها أم الدنيا، فقد استطاعت أن تحتضن على مر التاريخ كل التناقضات، من الحسين حتى شارع الهرم، السلفيين والملحدين، مثقفي وسط البلد ومتسوّليه.

دائرة مفرغة لا تسمن ولا تغني من جوع، تلك التي يصر أهل الجدل والكلام على تصديرها لنا، لنقع في الفخ ونستمر

نجادل طوال العمر أيهما أولًا – البيضة ولا الفرخة – الدستور أم الانتخابات، الحرية أم الشريعة الإسلامية، الإسلاميون أم العلمانيون، انتخابات الشعب أم انتخابات الرئاسة؟؟

دائرة لن يستفيد منها سوى من يشغله أن تتحول مصر إلى صراع هوية، فيرفع لافتاته "إسلامية إسلامية" فينتخبه الشعب الطيب، ليتصدر بعضها المشهد في الفضائيات مفسرًا أنها "إرادة الجماهير"، و"العبرة في الصندوق"، ولا أحد من المصريين في الأصل يعترض على هوية مصر المدنية، أو الدين الذي يدين به معظم المصريين وهو الدين الإسلامي الحنيف، لأن المواطنة في الأساس هي سبيل التعايش المشترك بين كافة المواطنين، بما لهم فيها من حقوق، وما عليهم من واجبات.

دائرة تخدم فقط أهل الهوى والشو، الذين يرفضون قبول الآخر، ويلعبون بالـ(تلات ورقات)، مقابل نصيبهم تحت القبة، وقد تناسوا أنهم كانوا يقبلون أيادي رئيس لجنة السياسات في الحزب المنحل، ويتمنون التقاط صورة مع الوريث.

لن أضحك عليكم أصدقائي حين أقول إن مصر الآن تعاني من انهيار في الصناعة والزراعة والاقتصاد، ربما فساد نصف قرن قد يكون مبررًا كافيًا ليبرر البعض ما نحن فيه، لكن الشيخ الشعراوي كانت له مقولة رائعة أراها مفيدة الآن: "الثائر الحق هو الذي يثور ليهدم الفساد، ثم يهدأ ليبني الأمجاد"، ولا فساد

بعد حال الشباب المصري، وإحصائيات البطالة والجريمة والعنف في المجتمع.

تعالوا إلى كلمة سواء، إلى المشترك بين كافة التيارات، تعالوا نتفق على المواطنة سبيلنا للتعايش، وإلى الانتصار لدولة القانون، إلى لفظ الجهلاء والمتطرِّفين من كافة التيارات، ممن يرون أن الديمقراطية كفر، ومن الذين يفضلون إسرائيل على أوطانهم ويطالبون بالتدخل الأجنبي.

تعالوا إلى مصر أولًا.. فكلنا لنا حق في هذا الوطن، وكلنا لن يستطيع مصادرة حق الآخر في أن يحيا بحرية. الأزمة الحقيقية هي أننا في أزمة ضمير، وغياب انتماء وإخلاص، فضل البعض مصالحه وسبوبته على وطنه، تعالوا نحلم ببكرة أحلى.. حقنا وحق الأجيال الجاية.

من رُبِّي على التسليم بغير عقل، والعمل ولو صالحا بغير فقه، فهو غير مؤمن. فليس القصد من الإيمان أن يذلل الإنسان للخير كما يذلل الحيوان، بل القصد منه أن يرتقي عقله وترتقي نفسه بالعلم، فيعمل الخير لأنه يفقه أنه الخير النافع المرضي لله، ويترك الشر لأنه يفهم سوء عاقبته ودرجة مضرته.

الإمام محمد عبده

كادر الكاميرا

الحقيقة المجردة التي لا نملك سواها، هي أن صور قبلات رجال الدين المسلم والمسيحي ليست الطريق الصحيح لحل المشكلة.. المشكلة في أننا ندمن الضحك على الذقون، والذقون في بلادنا أصبحت لها علاقة وثيقة بمدى التزامك، ومن ثم فالسيد من الناس في هذا الزمن "الكحلي" هو من يطلق لحيته وتجارته في آن واحد، ويعتمد على أن الناس ستأتيه فرادى وجماعات تشترى منه؛ لأنه "راجل طيب بدقن"! ولا عجب في أن تجد هذا السيد نصابًا ماهرًا يجمع الملايين، والسر معلوم. الحقيقة المرة التي لا نملكها، هي من فعل فعلته الشنيعة، وقتل مصريين عُزّل في جريمة يندى لها القلب والدين؟! من هذا الذي تجرّد من إنسانيته، وأقدم على هتك عرض الوطن في ليلة ننتظرها جميعًا كي نحتفل برأس السنة، ونطفئ "الشموع"؟ كانت هذه الأسئلة تراودني، وأنا أشارك في وقفة تضامنية في أحد ميادين "القاهرة"، قبل أن تنطفيء الشمعة التي أحملها، وأشعر بالخوف من مستقبل لا نملك له غير التطرف! الحقيقة المجردة التي اعتدنا على تكذيبها، هي أن الفتنة موجودة فعلًا، وأن أفعالًا تُمارس هنا وهناك كفيلة بإغضاب الأقباط وإشعال فتيل الأزمة بينهم وبين المسلمين.. آيات التسامح التي أوصانا بها الدين، معمول لها **"Delet"** من حياتنا.. فتاوى التطرف وتحريم الاحتفال بالكريسماس والأكل مع الأقباط وموالاتهم، هي الأوبشن الوحيد الذى نجيد الضغط

عليه!! على الجانبين ينسج ملوك التعصب حكاياهم؛ فهنا يعتبرون الكنيسة هي "خطافة" البنات، وهناك يجدون الشيوخ الذين يرفضون بناء المسجد بجوار الكنيسة، دون أن يقرأوا صحيح الدين بعيدًا عن المدّعين! صدقًا أبدع الفنان "عادل إمام" في فيلم "الإرهابي"حين جسّد شخصية المتطرف الذي يضيق ذرعًا بالقبطي، وفي نفس الوقت لم يمنعه "تطرفه" من التحرش بفتاة يسكن في بيت أسرها. من قال إن الوحدة الوطنية تتمثل في قصائد شعر، وكلمات أغانٍ ومأدبة طعام، وبرامج تليفزيون تجيد إخراج مشهد "كله تمام"؟ الوحدة الوطنية يا سادة ليست في كادر كاميرا، ولا في صحافة تشارك في صناعة الأزمة، وليست في المؤتمرات الحكومية (حافظين مش فاهمين)، إنها تكمن في قوانين لابد وأن تشرَّع، ودستور يجب علينا التدقيق فيه مرات ومرات، ومطالبات على حكومة الحزب الوطني الفاسد أن تستمع إليها، لا أن تتصدى لها وتختار نائبًا متورطًا في مذبحة "نجع حمادي"! أو تعيّن في مجلس الشعب أعضاء غير مرغوب فيهم! إننا إذا أردنا أنَ نعيش في أمان وسلام، فقط علينا أن نقوم بتكسير كل شرائط الكاسيت التي تدعو إلى مزيد من التعصب؛ فكادر الكاميرا يحتاج من كل المصريين تسليط الفلاش على مستقبل هذا البلد، وأن نحقِق المساواة والمواطنة بجد، ربما تطلع الصورة حلوة.

إنّ التشدّد في التصوّر، وبساطة النظر إلى الواقع، والانصراف عن فقه المقاصد وفقه الموازنات وفقه المصالح والأولويات، والاستعلاء عن أئمة الفقه بزعم الاستمداد المباشر من المصادر، مع ضعف التأهّل لمثل هذه المهمّة، بعض أسباب تفشي فكر التشدّد والتكفير واستخدام القوّة في غير موضعها مما كان له بالغ الضرر على دعوة الإسلام في مواطن كثيرة.

الشيخ راشد الغنوشي

آه يا وطن متفيرس

جميعنا نحلم بـ"ربنا ينشر المحبة والسلام بين النفوس".. في المدينة الفاضلة وحدها يشعر الإنسان بالسلام. وفي المجتمعات الغربية يشعر بالإخلاص والايمان بأهمية العمل والإنتاج والتنمية. وفي بلادنا العربية، الأمر جد أكثر غرابة.. فيروسات التطرف، وأحاديث الكفر، والقتل، والتخوين على رأس جدول أعمال الكثير من السُذّج!! شبكة إلكترونية تهدِّد أمن "مصر"!! يا حلاوة يا ولاد، بعض الذين يعانون من أمراض نفسية، يهربون إلى الإنترنت، يصعدون على درجات منبر سكايب، ويتناولون المايك في "فيس بوك".. يزمجرون ويلعنون على الياهو.. يطلقوا وابلهم من السباب والتكفير وتهم العمالة والخيانة! مرضى بداخلهم الكثير من الكلام، والعقد، والمفاهيم المتخبطة. من يقرأ تعليقاتهم على الصحف الإلكترونية، يشعر أنهم فرسان وسيوفهم بأيديهم، قادمون لا محالة، يحاربون من لا يعرفونه.. يشتمونه.. يظنون الظنون السيئة.. يصادرون الحريات.. ودائمًا أبدًا هم في النهاية أصحاب الآراء الصحيحة، وما دونهم من كتَّاب وصحفيين ورموز فكرية شوية "جَهَلَة". انفجار في رأس السنة، يسقط على أثره شهداء ومصابين! دموع تتساقط على وجوه كل من يحب هذا الوطن.. القلوب تنتفض من شدة الصدمة..

وبعدين.. أكتب على صفحتي على الـ"فيس بوك" يوم ٧ يناير، يوم عيد الميلاد المجيد للسيد المسيح، المبشِّر بالمحبة والسلام بين كل البشر بدون تفريق: "من أجل مصر بدون غباء ولا عصبية"، وتنهال التعليقات لأكتشف أن الشباب يعي تمامًا ما يحدث، وأن آلاف من غيَّروا صورهم الشخصية ليضعوا "الهلال مع الصليب"، ويرسمون بسمة أمل في وسط الكارثة السوداء. غير أن رسالة وصلتني عبر من أطلق على نفسه "المهندس عمرو"، يطالبني بعدم مشاركة الأقباط في الاحتفال، وإلا فإنني بذلك أرفض وصايا الإسلام! وطالبني أيضًا بحذف الصورة الشخصية لي؛ لأن "الهلال لا يستقيم مع الصليب"، وأن ذلك يجعلني خارج الملة لاعترافي بالدين المسيحي! وقعت الصدمة على رأسي، واختلطت سخريتي بآلامي.. مين دول إن شاء الله؟ دققت في النظر لوصف "مهندس"! يعني لما تيجي من واحد متعلم زيك، بيقول كمية الهراء دي، يبقى تعمل إيه الناس اللي مش معاها علم ولا ثقافة؟!! ثم من قال لأمثالك إن الإسلام أوصى بعدم مشاركة الأقباط احتفالاتهم؟ إذا كان نبي الإسلام أوصى بالأقباط خيرًا لأن لهم ذمة ورحمة! ثم من قال لك إن وضع صورة عليها الصليب تجعلني خارج الملة؟! أم إنك تحتكر الملة، وتُدخل فيها ما تشاء من أمثالك المتطرفين؟! ثم منْ أخبرك إنني لا أؤمن بالنبي عيسى عليه السلام؟ ولماذا لم يخبروك بأن المسلم هو من أسلم

وجهه لله، وإننا نؤمن بكل الأنبياء عليهم جميعًا السلام؟ كان هذا ردي في رسالة أخرى على هذا المهندس.. "مصر" بلدنا موجوعة، وقلوبنا تتألم، في حين يأتي هؤلاء الذين– سهل قوي كده– يتحدثون باسم الله؛ ليكفّروا من شاءوا، ويمنحوا نعيم الجنة لمن يرضخ لعقولهم المريضة! لهذا؛ فإنني أعتقد أن الانفجار الذي حدث كان نتيجة حتمية لعقول خاوية، تخلط السم بالعسل.

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخدم التسامح ويستعمله حتى مع المنافقين، الذين يعرف أنهم كذلك، ومع أنهم يمثلون أعداء الداخل، فلقد عفا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ابن أبي سلول مرارًا، وزاره لّما مرض، وصلى عليه لما مات، ونزل على قبره، وألبسه قميصه، وهذا الرجل هو الذي آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم في عرضه يوم حادثة الإفك؛ فيقول عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أتصلي عليه وهو الذي فعل وفعل؟ فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: (يا عمر، إني خُيِّرت فاخترت قد قيل لي : "اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ"، ولو أعلم أني لو زدت على السبعين غفر له لزدت) أخرجه البخاري، فنسخ جواز الصلاة عليهم بقوله تعالى: "وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ"[التوبة:٨٤]، لكن التسامح لم ينسخ أبدًا.

ولما جاء رجل ورفع السيف على النبي صلى الله عليه وسلم وقال: من يمنعك مني يا محمد؟ قال: الله، ثم سقط السيف من يده، ثم أخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال: (من يمنعك مني؟) ثم أخذه إلى أصحابه وأخبرهم الخبر، فتعهد للنبي صلى الله عليه وسلم ألا يحاربه، ولا يكون مع قوم يحاربونه، فالتسامح أحرجه وأخذ منه كل قلبه.

وفي فتح مكة، حين قال صلى الله عليه وسلم لقريش ((ما تظنون أني فاعل بكم)) قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، قال((اذهبوا فأنتم الطلقاء))

وكذلك فعلة صلى الله عليه وسلم مع ذلك الرجل الذي كان يضع القمامة في طريقه صلى الله عليه وسلم، وحينما خرج في يوم من الأيام ولم يجد القمامة في طريقه، سأل عن الرجل، فأخبر أنه مريض، فذهب يعوده.

وروى البخاري عن أنس: أن النبي عاد يهوديًا، وعرض عليه الإسلام فأسلم، فخرج وهو يقول: "الحمد لله الذي أنقذه بي من النار."

وروى البخاري أيضًا: "أن النبي مات ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله". وقد كان في وسعه أن يستقرض من أصحابه، وما كانوا لِيَضِنُّوا عليه بشيء، ولكنه أراد أن يُعَلِّم أمته.

وقَبِل النبي الهدايا من غير المسلمين، واستعان في سلمه وحربه بغير المسلمين، حيث ضمن ولاءهم له، ولم يخش منهم شرًّا ولا كيدًا.

ومرت عليه جنازة، فقام لها واقفًا، فقيل له: إنها جنازة يهودي! فقال عليه الصلاة والسلام: "أليست نفسًا؟."

وتتجلى هذه السماحة كذلك في معاملة الصحابة والتابعين لغير المسلمين، فعمر يأمر بصرف معاش دائم ليهودي وعياله من بيت مال المسلمين، ثم يقول: قال الله تعالى: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ} [التوبة: ٦٠]، وهذا من مساكين أهل الكتاب.

ويمر في رحلته إلى الشام بقوم مجزومين من النصارى، فيأمر بمساعدة اجتماعية لهم من بيت مال المسلمين.

وأصيب عمر بضربة رجل من أهل الذمة –أبي لؤلؤة المجوسي– فلم يمنعه ذلك أن يوصي الخليفة من بعده، وهو على فراش الموت فيقول: "أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيرًا، أن يوفي بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، وألاّ يكلفهم فوق طاقتهم.

عزائي لكل أهالي الشهداء، آه يا وطن متفيرس!

أنا لا أخشى على الإنسان الذي يفكر وإن ضلّ، لأنه سيعود إلى طريق الحق، ولكني أخشى على الإنسان الذي لا يفكر وإن اهتدى، لأنه سيكون كالريشة في مهبّ الريح.

-الشيخ محمد الغزالي

من فضلك. . تذكرة للجنة

صديقى المصري، انتبه من فضلك.. هنا لحظة حاسمة في تاريخك، وفرصة لابد لك من انتهازها. أجل يا عزيزي، فأنت أيها الكائن البشري ليس أمامك العديد من الفرص، وكما يقول الفنان الجميل "الفرصة بنت جميلة، راكبة عجلة ببدال"! عليك الآن أن تتخيل فرصة، أن تجد أحدهم وقد كتبك من الصالحين الذين سيدخلون الجنة، وينعمون بخيراتها طوال حياتهم الأبدية. دعك الآن من حياتك الفانية تلك التى اختلط فيها الحابل بالنابل، دعك من الأطعمة الفاسدة، والخيرات الملوثة.. في الجنة ما يستحق التضحية. تخيَّل نفسك الآن وأنت تلهث وراء "العجلة أم بدال" لتمسك بتلابيب البنت الجميلة التى تركبها. لا وقت للعبث، ما أكتبه هذا ليس ضربًا من فنون السخرية، ولا على سبيل تقديم الضحكة في ساندوتش، على غرار ما يفعله بعض الكتَّاب في صحف الحكومة التعبيرية. يبدو أن الحظ ضل طريقه إليك، ولم تقرأ عن فرص رجال الدين والساسة الممنوحة لعامة الشعب، ومنهم مثلي ومثلك؛ لهذا فأنت لا تستطيع تصوُّر تحقيق حلم حياتك في العبور بأمان إلى الجنة، ومن ثم لا تتخيل الفرصة الجميلة. لهذا فأنا سأخدمك– خدمة عمرك– لأقرأ عليك العرض، عسى أن يعجبك. وسأقوم– مشكورًا– بشرح كيفية

الاستفادة من هذا العرض المغري جدًا. يبدأ العرض لحظة وفاة السيد "كمال الشاذلي"- رحمه الله- حين خرج علينا شيخ الأزهر ليقول- حسبما نشرته وسائل الإعلام- رحمه الله وغفر له، فهو توفَّى يوم العيد، وهى إشارة إلى أنه إن شاء الله من المقبولين عند الله والمغفور لهم، ومن أهل جنته". هنا انتهى الرجل، وبدأ العرض بالنسبة لك ولي ولكل المصريين الذين يمكنهم الحصول على هذا الغفران. إذا كنت تفكِّر الآن في كيفية تحقيق حلمك، وأن يبشرك رجل الدين- كاهنًا كان أو شيخًا- بالفوز بالجنة، الأمر سهل وبسيط، تستطيع أن تختار يوم العيد ليكون هوَ يوم رحيلك عن الدنيا الزائلة غير مأسوف عليك. ولم الأسف صديقي، ونعيم الجنة ينتظرك؟ وحتى تيسِّر على نفسك كيفية تحقيق أن تموت يوم العيد، تستطيع أن تؤجِّر قاتلًا محترفًا يتخلص منك في لحظات سريعة، كي تأمن عذاب الموت. ويُرجى عدم الفصال، "إنت ناسي إن كله بحسابه في الجنة؟". الأمر عزيزي لا يتوقف عند رجل الدين فحسب، بل لجأ السياسيون إلى منح تذاكر وبالمجان لكل من كانت بينه وبينهم "سبوبة" أو مصالح مشتركة. وهم بالتأكيد يبحثون- كما نصحتك- عن البنت الجميلة التى تحدَّث عنها "محمد منير". فحسب تصريحاته لموقع "مصراوي"، قال النائب "رجب هلال حميدة"، أحد أشهر "أصوات" المعارضة في البرلمان: إن السيد "أحمد عز" يخدم

الإسلام ويجسِّد الإسلام علي أرض الواقع. وقطعًا تجسيد الإسلام عند النائب المعارض له دلالة مختلفة، خاصة وإنه يطلق لحيته، ويتحدث قبل كل بيان أو طلب إحاطة بالكتاب والسنة. الآن، أنا مثلك، أشعر بنوع من الغيرة القاتلة "أتمنى أن يمنحني أحدهم "تذكرة"، لكني لست من رجال الحزب حتى يفعلون، ولم أمثّل يومًا على أهل دائرتي ليختاروني عضوًا بـ"نادي موافقون". أحتار في أمري، هل أؤجِّر أحدهم ليفعل؟ أم أذهب عن طيب خاطر وأملأ استمارة العضوية؟ ياسادة إن من عظيم الدين أن جعل عبادة الإنسان لربه علاقة سرية، كلها خوف ورجاء وحب وصلاة، رحمة وإيمان ويقين وتسليم.. فلماذا يخرج علينا من يجعل من الدين تجارة وسياسة وبيزنس وتذاكر مجانية للجنة؟ صديقي المصري، إن استطعت حجز إحدى التذاكر، فاسمح لي أن أحجز المقعد المجاور، أصلي بحب أتفرج م الشباك!!

أشد الناس حماقةً أقواهم اعتقادًا في فضل نفسه،
وأثبت الناس عقلا أشدهم اتهامًا لنفسه

أبو حامد الغزالي

وزير النهضة

بعد سنوات الإقطاع، هاهم "الغلابة" وقد بدأوا يشعرون بالارتياح، ويُمنُّون أنفسهم بأكل التفاح.. ليكتشفوا أنهم في زمن الانقطاع.. انقطاع الماء والكهرباء، وانقطاع النَّفَس في الجري وراء لقمة العيش، وأخيرًا؛ انقطاع أنبوبة البوتاجاز.. بعدما خسرنا كل شيء، ابتداءً من (العتبة جزاز) وحتى (الأسطى رمزي سمكري وابور الجاز).. يخرج علينا المسئول الهُمام بكل جسارة، ويعلن لنا في كل شارع وحارة، أنه حقق إنجازًا يفوق الإعجاز، ووعد بقرب انتهاء الأزمة، وإن الكلام الكتير.. أصبح مالوش لزمة.. لأن السادة المسئولين.. بأمور الشعب مهتمين.. وعلى راحته سهرانين.. والحمد لله على كل حال.. فنحن نعيش في بحبوحة، حتى وإن كانت مثل الأرجوحة.. وعلى هذا المسئول الهُمام.. رد "فقير باشا الكحيان".. زعيم الغلابة ومُمثل الفقراء، والمتحدث الرسمي باسم معدومي الدخل، بأنه سيقود حملة شعبية لتقديم الشكر لوزير الغلابة والمطحونين.. للتعبير عن مشاعره الفياضة تجاه خطواته الملموسة، وأفعاله المحسوسة، لرفع مستوى المطحونين من أسفل سافلين، والاكتفاء بوضع رؤوسهم في الطين. وعلى الفور.. جَمَعَ "فقير الكحيان".. أهالي الكحيانين، من موظفين وعمال وفلاحين، وذهبوا إلى "وزارة المالية"، ليس

للمطالبة بزيادة النقدية، ولا للمطالبة بكام جلابية، ولكنهم رفعوا لافتات تُعبر عن حبهم الدفين، مكتوب عليها: "ياوزيرنا يا محبوب.. يا منضَّف كل الجيوب"، وأخرى: "يا مُخترع كل الضرايب العالمية.. من الدَّخْل وحتى العقارية"، وثالثة مكتوب عليها: "كلنا فِدَاك يا غالي.. يا مشبَّعنَا ومخلينا في العلالي"، ورابعة مكتوب عليها: "ياوزيرنا يافاضل.. بالشفاء العاجل". أيوة طبعًا.. بالشفاء العاجل، "ومليون جنيه وتحية.. على عيونك يا وزير المالية"، و"عيني على عُيونِك يا بهية.. يا اللي ما لقيتي قرار علاج، ولا نفقة مجانية". وكمان نوابنا في البرلمان.. إلا مَنْ رَحمَ الرحمن.. بعيد عنا وآخر روقان.. ما بين نايب يرفع جزمته، ونايب يِسب ملته، ونايب ينسى دايرته، ونايب كل الناس في خدمته.. ضاعت مصالح الغلابة.. طب بذمتكم.. مش احنا اللي جبناهم؟ ومن هبلنا كبَّرناهم؟؟ وعلى أكتافنا ركِّبناهم؟؟؟ طب ليه زعلانين؟ ومنهم مفروسين؟ ما الحال عال العال، ويِشرِح البال والخاطر، والحمد لله.. إن مفيش في البلد عاطل. ده حتى الواد "معدوم ابن مطحون" بيقول: إن جارهم "حسن أبو علي"، له ابن خد دبلوم.. قدِّم طلب يشتغل.. ودوه خبير في العوم.. من غيظه راح اشتكى.. قاله مستوظف: ليه الزعل وابنك هيشبع نوم؟ فيه عندنا منشور.. خريج حقوق يشتغل كشاف في شركة النور.. والدكتوراه في الأدب كاتب في مستشفى، ولو

دَرس هندسة.. كان بَقى دِكتور.. أيوة يا سيدي.. هنياله.. وظيفه ميري وجياله، ويا بخت من كان النايب خاله.. اوعاكم تزعلوا مني يا إدارة التخبيط.. يا مشيّعين جهدنا.. للدفن والتحنيط.



"لما كثر اختلاف الناس في مسائل الدين وكثر تفرقهم، كثر بسبب ذلك تباغضهم وتلاعنهم، وكل منهم يظن أنه يبغض لله. وقد يكون في نفس الأمر معذورًا وقد لا يكون معذورًا، بل يكون متبعًا لهواه مقصرًا في البحث عن معرفة ما يبغض، فإن كثيرًا كذلك إنما يقع لمخالفة متبوع يظن أنه لا يقول إلا الحق، وهذا الظن قد يخطئ ويصيب، وقد يكون الحامل على الميل إليه مجرد الهوى والألفة أو العادة"

الحافظ بن رجب

عيون صفية

منذ اللحظات الأولى، وبعدما أسدل الستار عن هذا العمل الرائع، لم يكن بوسعي إلا التسليم والإذعان والاقتناع بأنني أصبحت عاشقًا لهذه السيدة، متيمًا بها، ومتمنيًا لو طال اللقاء الذي يجمعنا لأعوام قادمة. ففي وجهها شاهدت حب الناس وكرم المصريين، وطيبة القلوب المؤمنة بربها المتسامحة، إنها (صفية)، السيدة المصرية الأصيلة، التي وظفها المبدع والكاتب الروائي الكبير بهاء طاهر كي يعلم (تجار التطرف) درسًا بالغ الأهمية من خلال روايته المهمة (خالتي صفية والدير) والتي تحولت إلى عرض مسرحي بديع، يستحق أن نتابعه باهتمام، وأن نشجع كل المبدعين ونشدّ على أيديهم حينما يوظفون الإبداع الأدبي والفني في خدمة قضايا أوطانهم ومجتمعاتهم.

على مسرح ميامي، كانت مصر الوطن والبشر، المكان والعنوان، بحكاياها المنسية، ومشاهدها التي تاهت وتركتنا نعاني من (سرطان الزيف)، الذي أنهك أجسادنا ونخر في عقولنا، وقضى على الأخضر واليابس في مصر الطيبة. والجمهور الحاشد الذي جاء ليشاهد ملحمة فنية، ومعالجة غنائية فلكلورية رائعة انسجم، حتى أصبحنا قبيل انتهاء العرض نشكل جميعًا مظاهرة

حب. إبداع الأستاذ بهاء أكد أن المصريين في وحدتهم أقوى من شعوب الأرض جميعًا، مهما خذلتهم الظروف أو مزّقتهم المؤامرات.

جاء العرض ليؤكد أن المصري هو الذي حارب ليسترد الوطن المسلوب، واختلطت دماء المسلم بالمسيحي على أرض العزة، دون أن نسمع عن مظاهرات تطالب بالتمييز بين دماء الجسد الواحد، ولم نسمع أن معركة نشبت بين جندي مصري مسلم وآخر مسيحي بسبب الصراع على من يرفع العلم المصري فوق أرض سيناء، ولم تأسرنا فكرة أن الدين – أي دين – هو الذي انتصر بفضل رجاله الأتقياء. كنا في حروب الانتصار نرفع علم مصر، ونضرب أروع الأمثلة في ثقافة المواطنة.

هذه الأفكار وغيرها راودتني وأنا أشاهد (خالتي صفية والدير).. والمهم، أن توقيت عرض هذا العمل المتميز يأتي في ظل حالة الاحتقان الطائفي التي نخشى على المجتمع المصري من ويلاتها ـــ لا عليك، نحن شعب آمن بالفوضوية واتخذها شعارًا حتى إشعار آخر. وربما التحام المودة الذي جمع بين شيوخ الإسلام العقلاء والقساوسة الحكماء أراد أن يعطي درسًا آخر لشيوخ التعصب والتشنج الكاذب، مفاده أن مصر ستظل بلدًا آمنًا، طالما رفضكم أهلها، وأنكروا فكركم المتشدد.

النظام السابق أراد أن يعزف على وتر الدين عند المصريين، وآه من حساسية الدين عند بني قومي، فلم يلبث أن استخدم تجار اللحي في الترويج لفكرة أن الخروج على الحاكم كفر مبين، وأنه يجب على المسلمين طاعة أولي الأمر. إنها أصناف من العقول تعبث بمقدرات المجتمع، يخرجون علينا تارة ليتحدثوا باسم الدين، وكأن معهم توكيلًا من عند رب العالمين لمحاسبة البشر، أو يصفون ما يخالف عقولهم المريضة – على سرير الموت – بأنه حرام ولا يجوز .. لا ننسى تعطيش الجيم في مثل هذه المواقف. وربما يتمادى بعضهم في التحذير من معاملة شخص ما، لمجرد أنه يتحدث عن أمور لا يستوعبها أفقهم الضيق.

وهناك في جمهورية (نبيهاليا)، سُئل العبقري الراحل في فيلمه الرائع سؤالًا يكشف عن زيف وسذاجة هؤلاء الذين يرون في أنفسهم ملائكة منزلة من السماء، قالوا لزكي: "هو انت لا مؤاخذة ديمقراطي"؟! بعدما استغلهم مَن أراد السيطرة على واحة كبيرة سقطت فيها طائرتهم، وأراد هذا الرجل ـــ الفنان (جميل راتب) – أن يقحم الدين في أغراضه الدنيئة، ليتحدث مع بعض السذج عن أن هناك في الواحة مَن هو كافر، إذ يفخر دائمًا بديمقراطيته، ثم يتعامل أهل الواحة مع (زكي) – الرجل الديمقراطي – على أساس أنه كافر يفسد في الأرض وسيلقى العذاب الأليم يوم القيامة.

وحقًّا يستحق المبدع بهاء طاهر ألف تحية تقديرًا لفكره المستنير، وانتباهه لمثل هذه الكارثة التي ألَّمت بمجتمعنا المصري، ليؤكد لكل مبدعي مصر أن الأعمال الإبداعية في كثير من الأحيان تنجح في معالجة قضايا فشلت السياسة في معالجتها.

إن التطرف الديني يتولد نتيجة اتساع الهوة بين القيم السائدة والقيم المعلنة، مما يعطي رسالة مزدوجة للشخص تدعه في حيرة وقلق، وهذا يجعله يشك في مصداقية من حوله، وبالتالي يصبح أكثر عدوانية نحوهم. فمثلا يتعلم الطفل أو المراهق في المدرسة أو المسجد أن الكذب حرام وأن الرشوة حرام وأن الظلم حرام وأن الخمر حرام وأن السفور حرام وأن الربا حرام، ومع ذلك يجد كثيرا من هذه الأشياء سائدة في مجتمعه، فيحدث داخله صراع مؤلم، يحاول التخلص منه بتحطيم مظاهر الخروج على القيم المعلنة حتى يستريح، ويعتبر استفزاز المشاعر الدينية من خلال تسفيه القيم أو الأخلاق أو المعتقدات أو الشعائر بالقول أو بالفعل، مع عدم إعطاء الفرصة للرد على ذلك أحد أسباب التطرف الديني أيضا.

ويجب علينا تذكير كل المواطنين بأن الدين لله والوطن للجميع، وأن المواطنة تحمى قيم الدولة المدنية وتكفل للمواطنين كامل حقوقهم، مشيرا إلى أن الشعب المصرى كان يحارب كله اسرائيل في حرب أكتوبر، دون تفرقة أو تمييز، كذلك خرج

المصريون مسلمين وأقباط وطالبوا بإسقاط نظام مبارك، دون أن يلتفت أحد إلى مذهب دينى أو سياسى أو اجتماعى.

وأعتقد أنه من الضروري تنظيم المجتمعات بالصورة التي تخفض مثيرات التطرف والعنف إلى أدنى مستوى، وذلك من خلال منع الظلم على المستوى الفردي والاجتماعي، وإرساء العدل، ومنع تفشي الفواحش والمنكرات، وإرساء قواعد التكافل الاجتماعي ومحاربة الفساد، وإعطاء فرص حقيقية للتعددية السياسية والفكرية التى تمثل كافة التيارات الموجودة في المجتمع دون استبعاد أو وصم أو إلغاء، بالإضافة إلى تدريس أدب الخلاف الديني والفكري والسياسي والاجتماعي ضمن المناهج الدراسية.

على مدار أيام الثورة، كان البث حيا، ولم ينجح الرقيب في قص مشاهد الحرية، سيما وأن ميدان التحرير جمع المصريون على قلب رجل واحد، مصحف وإنجيل، محمد وحنا، صلاة الجمعة وقداس الأحد، انصهر الجميع في تجربة مصرية عظيمة تمثلت في ثورة ٢٥ يناير، وتحت ظلال وطنية واحدة، وراية متوحدة ترفع شعارا يقول: "ارفع رأسك فوق.. أنت مصري"، أقيمت «صلاة الجمعة» في مكان أقيم فيه «قداس الأحد»، وتجاور المصريون بمختلف توجهاتهم السياسية وميولهم النفسية ، بعيدا عن موجة التعصب والتطرف والاحتقان الطائفي، التي صنعها النظام السابق.

لقد صلى المسلمون صلواتهم، فكانت أجساد المسيحيين تحميهم، وكذلك حمى المسلمون بأرواحهم المسيحيين، لا فرق هنا بين دين، هنا تجسد معنى أن تكون مصريا. وبصدق، هنا عرف الجميع أن عدوهم كان يكيل لهم المؤامرات، ويشحن النفوس ليظل الوطن في أحداث عنف لا يستفيد منها أحد سوى نظام يخشى على كرسي الحكم، ومصالحه الشخصية، وبالتأكيد كان يخشى من المحاكمة، خاصة وأن مئات القضايا قد تفجرت حين سقط نظام مبارك، وكان "سجن طرة" مأوى وزراء مبارك وأعوانه.

في ميدان التحرير أيضا، لا تنتهي حكايات الثوار، أن ترى شعبا يحتشد من أجل أن يثبت للعالم أنه يلفظ أنظمته الفاسدة، رافضا الاستبداد، والظلم، لقد كان إبداع الثوار وليد اللحظة التاريخية، مجموعات منهم تستقبل جموع المصريين القادمين إلى الميدان في صفين متوازيين بأغنيات فلكلورية، لجان التطوع الخاصة بتفتيش الثوار وهم يدخلون قلب الميدان يقدمون الاعتذار في لفتة إنسانية راقية بعد أن يقوموا بالتفتيش،.. "، أطفال صغار يتناوبون اللعب، يتمثل حلمهم في مستقبل أفضل لوطنهم، يرددون خلف أسرهم بصوت طفولي "تحيا مصر"، الفرحة هنا بمذاق مختلف، عريس تعلوه البسمة يدخل الميدان وفى يده عروسته ذات الفستان الأبيض.. يلفت انتباهك هذا الرجل الذي يلتقي بكل الناس ويقبلهم كأنه علي معرفة قديمة بهم، ، أيضا كان هناك العديد من الأسر المصرية التي حملت

الطعام وزجاجات المياه المعدنية والغازية والبطاطين إلى ثوار ٢٥ يناير.

وقف الشباب في ميدان التحرير وهم يتأملون وجه بلادهم، رفعوا لافتات كتبوها بألوان الأمل، وقد دعوا الشباب المصري إلى التحلي بأخلاق ميدان التحرير، كما اتفقوا على أول قسم جماعي نشروه عبر تقنية الفيديو على شبكة الإنترنت، وفيه قسم لكل مصري يقول: " أقســـم بالله العظيم أن أحافظ على مصر حرة مرفوعة الرأس، وأن أخلص لها العمل بكل ضميــــر، وأن أجتهد لتحقيق أحلامـــي، وأن أحترم أحــــلام أولادي، واثقا في شمس مستقبل بـــــلادي، مؤمنا بوحــــدة شعبي، ومسئولا عن كل حبة تراب من أرض وطني.. والله على ما أقول شهيد".. إنه الانتماء للوطن، يجسده الشباب في لحظة نحتاج فيها جميعا إلى الترابط والانتماء، بعد أن ذقنا ويلات الإقصاء سنين طويلة.

افتقادنا لدولة ديمقراطية مدنية هو سبب ما تعانيه بلدنا من فساد وجهل وفقر، ولهذا فإن الوقت قد حان لننتصر لفكرة الدولة المدنية التي تحمي الحريات وتكفل حقوق الإنسان، بعيدًا عن عنجهية هؤلاء المتطرفين أو أذناب النظام المخلوع.

يكل الإسلام إلى الضمير - بعد تربيته وتهذيبه - تنفيذ الشرائع والتوجيهات جميعًا، ولا يكل ذلك إلى القانون (إلا في الحالات الشاذة) لأن القانون يمنع من الخارج. ولكن دراية الإسلام بالنفس الإنسانية تجعله يدرك أن الامتناع من الداخل بتأثير الوازع الخلقي والديني، أكثر ضمانًا وأبلغ في الوصول إلى الغاية، لأن هذا الوازع اليقظ موجود مع الإنسان في أعماق نفسه، ومطلع على دقائقه وخفاياه. أما القانون في الخارج فأدواته محدودة، وعلمه كذلك محدود.

-محمد قطب

إخناتون الذى تسلفن

أثار الخبر الذي نشرته الصحف، بشأن محاولات هدم التماثيل في المحافظتين، ردود أفعال واسعة، تستنكر توجه السلفيين نحو ارتكاب هذه الجريمة، التي يعاقب عليها القانون والضمير معا. ولا ندري حقا، هل سيخرج علينا هؤلاء قريبا بالدليل الوافي لهدم التماثيل النكراء، الذي يتضمن شرحا وافيا كافيا عن كيفية هدم تمثال دون أن تقبض الشرطة على الفاعل ـــ في الغالب يكون من الملتحين الذين يرون في التماثيل أصناما قد يعبدها الناس من دون الله. وهل يظن هؤلاء الشيوخ أنه سيأتي اليوم الذي يسجد فيه المصريون أمام تمثال طلعت حرب مكبرين مهللين، ولهذا يخشون علينا من تماثيل من حجر؟ وهل تناسى الناس أن أول من حاول هدم تمثال (أبو الهول) هو شخص عربي موتور نزل مصر إبان الفتح الإسلامي، ورأي أنه فرض عليه تدنيس هذا الصنم؟.. ولا تموت الفكرة مع الزمن.

في عصرنا أيضا وصف المهندس عبد المنعم الشحات، المتحدث الرسمي باسم الدعوة السلفية بالإسكندرية، التماثيل الفرعونية بأنها تشبه الأصنام التي كانت حول الكعبة عندما فتحها الرسول، بما يعنى ضمنيًا الدعوة لهدمها، وطالب الشحات

بأن يتم النظر في أمر هذه التماثيل وعلاجها مثلًا بتغطية وجهها بالشمع، ولا ندري حقا عن أي شمع يتحدث الشحات، وهل يخشي علينا من الفتنة لهذه الدرجة، ثم هل يستطيع أن يمنع الناس من رؤية أجساد الأصنام ــ بحسب تعبيره ــ إذا ما غطي الشمع وجهها.!

وربما يجهل السلفيون حقيقة مهمة، تتمثل في الفهم الصحيح لحقيقة كون الدولة مدنية في الإسلام، وهو الذي أتاح للدين أن ينتشر في العالم، وأن يحكم المسلمون دولًا تضم مختلف الأديان والطوائف والأعراق والقوميات، ولم يكن المسلمون يحافظون على الكنس والكنائس فحسب، وإنما حافظوا على كل أنواع المعابد، ولم يهدموا إرثًا لأحد، فقد رأى السلف الصالح تماثيل عديدة في الأرض التي فتحوها، ولم يهدموا فيها تمثالًا، حتى ولو كان له بعد ديني عند من يجله، بدليل بقاء الآثار التي حافظ عليها المسلمون. وهذا الحفاظ هو الذي جعل الشعوب تحترمهم، وأرضنا العربية ومتاحفنا ملأى بكنوز من تماثيل عبدتها شعوب قبل ظهور الأديان السماوية، وغالبا يجهل المتطرفون ودعاة التدين ما يفتعلونه في حياتنا من حوادث غريبة لم نألفها من قبل. ويبقي السؤال: لماذا لم يهدم عمرو بن العاص عندما دخل مصر الأهرامات وأبا الهول وسائر آثار الحضارة الفرعونية العظيمة، ولماذا لم يأمره عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذلك، ولماذا

تغاضى سائر خلفاء المسلمين عن إزالة الآثار في مصر وأي بلد تم فتحه طوال أكثر من ١٤٠٠ عام؟!

إنها ألغام زرعها نظام مبارك، لتكون بمثابة حائط الصد أمام جماعة الإخوان المسلمين والجماعات الصوفية، هكذا كان يتعامل النظام السابق مع "السلفيين"، الذين فضلوا الابتعاد عن السياسة، وخرجوا علينا بفتاوي تحريم الانتخابات، وأطلقوا السباب والشتائم واتهموا الناس بالتقصير وأحيانا بالإهمال، وفي فترات كثيرة بالتكفير، بسبب اختلاف وجهات نظرهم عن التدين الذي يعرفه المصريون، ويعرفون به.

وبالطبع لا يزال الجميع يتذكر كيف وقف هؤلاء الذين يتحدثون باسم "السلفية"، ورفضوا الخروج على الحاكم مع بزوغ شمس الحرية في بداية الثورة المصرية في ٢٥ يناير قبل الماضي، وتناسى هؤلاء أن هناك عدد كبير من الآيات القرآنية التي تحض على الخروج على الإمام الظالم، مثل آية "ولا تطيعوا أمر المسرفين"، ولكن هل يؤمن السلفيون بأن مبارك ونظامه كانوا بالفعل من المسرفين؟

سؤال تتحقق إجابته من خلال تصريحات ممدوح إسماعيل، محامي الجماعات الإسلامية نفسه، حيث يرد على اتهام الدكتور محمود غزلان، المتحدث باسم الإخوان، لبعض الجماعات السلفية بالعمل لحساب أمن الدولة ضد الإخوان بقوله: "جهاز

أمن الدولة استخدم أشخاصًا من بعض الجماعات الإسلامية السلفية لتوجيه حرب ليس ضد الإخوان فقط، ولكن ضد بعضهم..

البعض أيضا، أي ضد الجميع، ولكن هذا ليس على العموم بل من قبل أفراد، لأن عموم الجماعات السلفية كانت معرضة للقتل والتشريد والاعتقالات."

محامي الجماعات الإسلامية لا يجد غضاضة في الاعتراف بأن العديد من السلفيين كانوا عملاء لأمن الدولة في نظام حسني مبارك، كيف إذًا أصبحوا – على حين غرة – من ثوار مصر؟!

كان أمن الدولة يضيِّق على الإخوان ويعتقلهم، وحتى لا يترك الساحة خالية، استخدم بعض الجماعات الإسلامية السلفية للعمل بالمساجد مكان الإخوان، واستخدم شيوخ السلفيين لمهاجمة الإخوان على المنابر، وكذلك طلب من عدد منهم تأليف كتب لمهاجمة الإخوان. وكانت وزارة الداخلية تطبعها على نفقتها وتوزعها، وهو ما جعل الإخوان في حالة تذمر واختلاف فكري ومنهجي مع السلفيين، حيث يراهم الإخوان عملاء فضلوا الابتعاد عن السياسة، في الوقت الذي يؤمن فيه الإخوان بأن الإسلام منهج حياة، يتمثل في الفكر والعبادة والثقافة والسياسة، ويرى السلفيون الإخوان جماعة تضحي من أجل السلطة والوصول إلى مقعد الحكم.

رموز السلفيين أنفسهم، تحاط بهم علامات الاستفهام، ويشار إليهم بالعمالة لصالح أمن الدولة، وكان على رأس هؤلاء - وبحسب تصريحات أحد المعتقلين الذين قضوا فترة من اعتقالهم معه - أحد أبرز شيوخ السلفيين، والذي كان يستخدمه جهاز أمن الدولة للتأثير على المعتقلين الإسلاميين، ومحاولة السيطرة على أفكارهم وكتابتهم مراجعاتهم الفكرية، التي انتشرت في تسعينيات القرن الماضي، غير أن الويل كان لمن يرفض أن يكتب مراجعاته الفكرية، حيث تبدأ حفلات التعذيب تحت مرأى ومسمع الشيخ، الذي بدوره يظل يؤثر على عقلية المعتقل حتى ينجح في إقناعه أو يفقد الأخير وعيه من أثر التعذيب.

ولم يكن الشيخ عبد المنعم الشحات المتحدث الرسمي باسم الدعوة السلفية بالإسكندرية، والمرشح علي مجلس الشعب، بعيدا عن ذلك كله، فالرجل الذي كان ينعم بنومه تحت الأغطية استجابة لتعليمات أمن الدولة، أمر أتباعه بعدم التزول ضد الحاكم، مؤكدا لهم أن المظاهرات مؤامرة على البلاد، وأن المغزى الحقيقي للتظاهر هو شغل السلفيين عن قضيتهم الأساسية، التي لم يوضحها. فالرجل لم يوضح مثلا أن مهمة السلفيين كانت تتمثل في التعبد بالمحراب، والعمالة لجهاز أمن الدولة، في مقابل العديد من الصلاحيات والمنح.

حتى إن أبرز شيوخ جماعة الإخوان المسلمين، الدكتور يوسف القرضاوي، قال في تصريحات إعلامية: رأيتُ التيار السلفي في

الجبهة المضادة لتيار شباب ثورة ٢٥ يناير، فقد رأوا هؤلاء الشباب منحرفين عن الكتاب والسنة، وخارجين على وليّ الأمر الشرعي، الذي أمر الله بطاعته {وأولي الأمر منكم}، حتى قالوا: إن الشيخ محمد حسان كان في فترة من الفترات مؤيدا لهؤلاء الشباب، ثم انسحب وغيّر موقفه، والغريب أنهم الآن يلصقون أنفسهم بالثورة، ويقدِّمون أنفسهم للشعب كأنّهم أبطال الثورة، والذابّون عنها.!

وكان الشيخ وجدي غنيم قد رد في تصريح على كلام الشيخ محمد حسان أثناء الثورة المصرية، قائلا: "كنت يا شيخ ترفض الثورة، وتقول إنها تتسبب في تدمير الممتلكات، وفي مرة أخرى جلست مع مذيعة شعرها عريان وصدرها باين وتصفها بأنها "أخت فاضلة"، وإنك على استعداد أن تذهب للمتظاهرين وتجعلهم يرجعون، ترجع فين؟.. وربنا كانوا مسكوك وعلّقوك من رجليك في ميدان التحرير.. من فضل الله على الثورة أن القنوات الدينية كانت ممنوعة، حتى لا ينتقم منكم الثوار"

لكن غنيم نفسه عاد وأطلق الاتهامات وشن الحملات على معارضي التيار الإسلامي، مستخدما ألفاظًا وإيحاءات يعاقب عليها القانون ويستحي القلم من كتابتها.

ملعون في دين الرحمن.. من يسجن شعبًا.. من يخنق فكرًا.. من يرفع سوطًا.. من يُسكت رأيًا.. من يبني سجنًا.. من يرفع رايات الطغيان.. ملعون في كل الأديان.. من يُهدر حق الإنسان.. حتى لو صلّى أو زكّى وعاش العُمرَ مع القرآن..

-جمال الدين الأفغاني



ضمير الإبداع

في ظل الصراع الدائر بين القوى السياسية على مدنية الدولة، وحرية الرأي والتعبير، وهل سيكفل حكم الإخوان المسلمين هذه الحرية دون انتقاص أو تقييد، تبرز دراسة للشاعر الإنجليزي ت. س. إليوت عنوانها "ملاحظات نحو تعريف الثقافة"، أكد فيها قوة ارتباط الثقافة بالدين، وهى فكرة لا يمكن إنكارها، ولعل رأي إليوت مناسب جدا لاستعراض البرنامج السياسي الذي قدمته جماعة الإخوان وحزبها "الحرية والعدالة"، إذ يرى إليوت أن الدين مكون أساسي ومهم من مكونات الثقافة، ولذلك يفهم المتابع سبب اهتمام حزب الإخوان بالجانب الثقافي في برنامجه السياسي، المكتوب بتوجه ديني، في الوقت الذي غابت فيه الثقافة عن برامج وممارسات أحزاب عديدة.

لكن هذا الفهم لا ينفي تخوف كثير من المثقفين المصريين من سيطرة الفكر الديني على الحياة الثقافية، والتخوف سببه عدم تعرض البرنامج للتنوير، وهو الوظيفة الأساسية والمهمة لأي ثقافة، وأيضا عدم تحديد موقف الحزب من قضية الحرية. والمقصود بها هنا حرية المبدع في ممارسة الإبداع، وليس فقط الحرية السياسية، والتي من المفترض أن تخلق جوا ثقافيا يساعد المبدع في عمله. وأيضا لاحظ المثقفون أن البرنامج اعتمد عبارة

فضفاضة هي "وضع ضوابط للحياة الثقافية"، دون أن يحدد ما هي هذه الضوابط؟.

وبنظرة دقيقة، نستطيع أن نقرأ كيف يختلف برنامج حزب الإخوان عن بقية الأحزاب في توضيح رؤيته للثقافة المصرية، فهو يربطها بالثقافة العربية والإسلامية، ولا تنفصل عنهما، حيث يؤكد البرنامج في مبادئه وتوجهاته. وتحت عنوان البناء الثقافي، والنهضة الثقافية، يقول البرنامج: "إن الثقافة هي المرآة التي تعكس هوية المجتمع وقِيمِه وإرثه الحضاري. وعند إمعان النَّظر في خصائص الثقافة المصرية، نجد أنَّها تتشكَّل في الهوية الإسلامية والثقافة الإسلاميَّة المعبرة عن إرث هائل من الفنون والآداب، والتي شكلت في مجملها الوجدان المصري، دونما تفريق بين أبناء الوطن الواحد، حيث امتدت تأثيرات الإسلام – في كل مفردات العمليَّة الثقافيَّة – بحيث طبعت بسماتها المجتمع المصري كله. وهنا علينا التأكيد على أن الحضارة الإسلامية مثلت وعاء جامعا للجماعة المصرية، ضم ميراثه الحضاري وأعرافه وتقاليده، في إطار القيم الإسلامية، دون إلغاء لدور المسيحية، الذي مثل مرحلة من التاريخ المصري، ودون تذويب لتمايزات ثقافة المسيحيين.

وحتى حينما يتصور البعض أن الحضارة الإسلامية مثلت إطارا لوحدة الأمة، إطارا يجمع ويسمح بالتنوع، وإطارا أعاد

تشكيل الميراث الحضاري للجماعة المصرية ولم يعاديه، فأقام مرحلة حضارية جديدة، وحقق وحدة الأمة العربية ووحدة الأمة الإسلامية، وحافظ على التنوع الداخلي وتعدد العقائد."

وتحت عنوان "القوالب الأدبية" طالب البرنامج بإنشاء لجنة متخصصَة لدراسة واقع الرواية والأدب عامة في مصر، وتوجيه مسارات الإبداع الأدبي لخدمة قضايا المجتمع، والعناية بتنظيم المسابقات لاكتشاف المواهب الجديدة، والتّنسيق بين الوزارات المعنيَّة في هذا الإطار.

أما اللافت للنظر في برنامج الإخوان، فهو مطالبته بإعداد ميثاق للشرفِ الإبداعي، طبقا لقيم المجتمع وأخلاقياته وآدابه، تعده لجنة من كبار المتصلين بالمسائل الأدبية، ويتم طرحه على الساحة الأدبية لإقراره، بدون تَدخل بأي صورةٍ من الصور من جانب الدولة ومؤسساتها؛ ليكون بمثابة دستور غير مكتوب للإبداع الأدبي في مصر، يلتزم به ضمير الأديب الإبداعي، وأجهزة الرقابة على الإبداع الأدبي.

ولأنه برنامج سياسي ذو توجه ديني، أشار كثيرا إلى الجانب القيمي والأخلاقي في عملية الإبداع تحت عبارة "ضوابط إدارة الحياة الثقافية". وهنا يبرز تخوف المثقفين، الذين يرون أن المبدع فيما يبدع، وحريته مطلقة، لا يحدها إلا ضميره.

والسؤال: من الذي يستطيع أن يفكك أزمة الثقة بين النخبة الثقافية وبين الإخوان، أو متى تخرج العلاقة بينهما من المنطقة المخيفة؟

إن الفن والأدب لم يعرفا القيود الصارمة والقابلة للتأويل حسب المزاج وحسب التعصب إلا في أشد عصور الانحطاط لأي مجتمع من المجتمعات، فالإبداع والحرية صنوان، الإنتاج الأدبي موجود في شتى عصور الحضارة الإسلامية، وأنا لا أشير هنا إلى من يعرفون بشعراء المجون مثل أبي نواس وبشار، بل أشير إلى أكثر الشعراء جدية وشهرة، مثل أبي تمام والبحتري والمتنبي، وإلى أكثر الناثرين تقوى واحتراما، مثل الجاحظ أو ابن حزم الأندلسي إمام المفسرين من أهل الظاهر.

ولدى أدباء المسلمين درجة الحرية في تناول موضوعات الجنس والدين، بما لا يجرؤ على مثله أي كاتب معاصر، ودون أن يحتج عليهم أحد في عصرهم. كانوا يعرفون أن الضوابط الأخلاقية حسب الفهم المتزمت للأخلاقْ لا تحمي الفضيلة، وإنما تحمي الرذيلة، وتخلي بينها وبين النفوس، على قول الدكتور العميد طه حسين."

القيد الوحيد المقبول على الإبداع، هو قيد القانون العام الذي ينطبق على المبدعين مثل غيرهم.

"إن الحضارة الإسلامية سمحت بظهور أبي نواس شاعر الخمر، وكذلك ظهور قصائد تهجو المسلمين الأوائل، بل تهجو الرسول نفسه. كما أن الحضارة الإسلامية نقلت كل التراث الشعري الجاهلي الوثني، فضلا عن ترجمة كل التراث اليوناني الوثني أيضا. وإن كلمة حضارة ليس بينها وبين الحرية تضاد أو تنافر بالضرورة، والثابت التاريخي يؤكد أن الحضارة الإسلامية الدينية سمحت بالإبداع وساعدته، وخلقت مناخا ملائما له.

وعلينا أن نجيب عن سؤال: هل الوجدان الديني ضد الإبداع؟ بالطبع الخطأ هو التعصب الذي يعادى التغيير، والذي لا يعترف إلا بوجدان واحد لا غير.

إن فساد المبتعدين عن الله الجاهلين بحقوقه سوف يعلل بأنهم لا إيمان لهم.. أما فساد... المتدينين فإنه يرتدّ إلى الدين نفسه بالنقض، ويجرّ عليه تهمًا هو منها براء.

فحكمة الله واضحة في تأخير المتدينين الجهلة وحرمانهم من السلطة

الشيخ محمد الغزالي

حين يحلم الغلابة بالرئاسة

فيما يحتشد المصريون في الميدان، منددين بالنظام الذي أذلهم وظلمهم، رافعين شعار "الشعب يريد إسقاط النظام"، ومدافعين عن حرية وطنهم أمام قوات الأمن المركزي، في الخامس والعشرين من يناير، ثم قوات الشرطة كلها بعد أن ضرب المصريون أروع الأمثلة في الشجاعة والنضال.. وفي الوقت الذي كان يسقط فيه شهداء الثورة في مختلف محافظات مصر، ويكافحون الرصاص والبلطجة والاعتقال، كان هناك من يعبر عن رسالته بطريقة أخري، ساخرة أحيانا، وصارخة في أحايين أخري.

رأينا في الميدان لافتات تدعو الرئيس المخلوع إلى التنحي، رفعها شباب حلموا لأوطانهم بالحرية، فكتب أحد الشباب والذي يبدو على هيئته أنه كان معتصما أياما طويلة "انجز بقي عشان أولادي وحشوني"، كما كتب آخر" امشي ياعم.. عايز أحلق"، ورفع الشباب لافتات كتبوا عليها "حسني مبارك. . طير انت" إضافة إلى عشرات اللافتات الساخرة الأخرى.

وشاهدنا أيضا المواطن الهندي الذي يسخر من نظام حسني مبارك، في مونولوج معبر عن حالة "الزهق" التي سيطرت علي

المعتصمين طوال ١٨ يوما، هي عمر اعتصام ميدان التحرير قبل تنحي مبارك. وعاش المصريون في هذه الأيام يتناوبون الضحك عبر نكت ساخرة، وشعارات ولافتات تعبر عن سخطهم وغضبهم على مبارك، في قالب كوميدي يعكس بلا شك خفة دم المصريين.

وبعد تخلي الرئيس السابق حسني مبارك، ظهرت مقاطع فيديو جديدة على الفيس بوك، بخلاف المظاهرات المنددة بالحكم، والقصائد والأغاني التي تدعوه إلى الرحيل. هذه المرة، كان البطل فيها شخصية شعبية غير معروفة في الغالب، تستغل الإعلام الحديث ومواقع الإنترنت في السخرية من رئيس الجمهورية، ورشح بعض المواطنين أنفسهم لرئاسة البلاد، ومن هذا المنطلق منح "عطوة كنانة" لنفسه الضوء الأخضر كي ينافس على المقعد، ليعد أحدث شخصية مرشحة للرئاسة في البلاد، ولكن هزلية.

عطوة كنانة شخصية كوميدية، ابتكرها الدكتور تامر جمال عضو الجمعية العالمية للصحة النفسية، للمنافسة على كرسي الرئاسة بطريقة تهكمية، حيث يطرح من خلالها ما تعاني منه البلاد، مع نقدٍ لاذع ولكن بأسلوب مضحك.

بدأ كنانة حديثه الساخر بتعريف شخصيته ووظيفته الحالية، وهي جمع القمامة، مرتديًا ملابس رثة مهلهلة تتسم بالقذارة،

جالسًا في مكان بنفس المستوى المتدني، وأمامه موقد الغاز، في إشارة لحجم المعاناة التي يعيشها المواطن المصري المطحون.

وأفرزت كلمات كنانة، خلال الفيديو الذي سجله مع قناة "المحور" الفضائية، عن كلمات بالغة الأثر، عاشتها البلاد تحت ظل النظام البائد، من ضمنها القصور في تنمية محافظات الصعيد وسيناء أيضا.

كما تطرق كنانة لأزمة المياه في دول حوض النيل مع مصر، وغيرها من المشكلات الأخرى، التي نجح في التعرض لها وناقشها بطريقة مبتكرة، مثل تهكمه من كثرة استخدام مصطلح ا"لخيار" الاستراتيجي، حيث قال : "خيار خيار خيار. . خلاص اتخنقنا. . الخيار يوم في ايديك ويوم في مفاوضات السلام.. السلام.. السلام.. لوك لوك كتير زي سواقين الميكروباص.. اللي عاوز يعمل سلام ما يتكلمش كتير لازم يبقى لك شخصية."

وأخيرًا، طالب عطوة بالأهتمام بالصناعة والزراعة، ولكن بطريقته الخاصة، وقال: لازم الوزير اللى ييجي يهتم بصناعة الفانلات الداخلية، عشان مش بتقعد أكتر من تلات أربع سنين.. لازم نهتم بزراعة القطن طويل التيلة.

لكن "كنانة" سيلاقي صعوبة بالغة في الفوز بالرئاسة، بعد أن أعلن "باكوس" عن نيته في الترشح للرئاسة، وخرج محمد فوزي

باكوس علي الجماهير ليعلن خوضه الانتخابات الرئاسية القادمة، يقول فوزي، الذي عرض برنامجه الانتخابي وسط "كائنات" المياه الغازية على أنها "ميكروفونات"، إنه ترشح بعد ضغوط من أفراد المنطقة التي يعيش فيها، كما انه اعتبر الرئاسة "سبوبه" له لأنه لا يعمل الآن، مشيرا إلى أنه سيقوم بتوزيع رغيف "حوواوشى" الذي تبلغ قيمته ١٢٥ قرش على كل مواطن مصري في حالة فوزه بالرئاسة.

ويقول باكوس في محاولة للسخرية من أحد خطابات الرئيس السابق: "كنت لا أنتوي الترشح لرئاسة الجمهورية، لكن كلمني حوالي ٦ أنفار في الموضوع، ثم تراجع منهم ٧ بعد ذلك، وقالوا "كنا بنهزر"، لكنني كنت اتخذت قرار الترشح، لأني بصراحة اليومين دول مش شغال، وموضوع الرياسة ده سبوبة حلوة."

ويتجاوز "فوزي" السخرية من كثرة مرشحي الرئاسة إلى السخرية من الوعود الانتخابية، ويعد كل مواطن مصري برغيف حواوشى مخصوص (من أبو جنيه ونصف) في حالة نجاحه.

ويشيد بتجارب الأمم في حب الوطن ويقول: "في الصين، حينما أصدروا قانونًا بأن أي سطح يكون في آخر دور، الناس كلها التزمت، وفى غانا لما الدنيا تشتي يتركوها تشتي، لأنهم يحبون بلدهم، ومصر تستحق منا أكثر من ذلك."

وينفي باكوس كل ما تردد عنه من شائعات بهدف تشويهه قائلا:" فيه ناس قالوا إنهم شافوني بأكل كبدة، وناس قالت إن أختي ساكنة في عمارة فيها أسانسير، وبعضهم ردد إن عندي معجون أسنان وبعضهم أضاف إن عندي فرشاة، وكل هذا الكلام عار من الصحة، واللي عنده مستند يتوجه به إلى النائب العام فورا."

في سياق متصل، ومع التغيرات الاجتماعية والسياسية التي تطرح نفسها على الساحة المصرية بقوة، وفي خضم التحولات الخارجية التي تكرس لمبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان والمرأة، قررت إحدى الفتيات أن ترشح نفسها في الانتخابات الرئاسية القادمة، سلمى الدالي فتاة مصرية دفعتها الحماسة الممتزجة بالسخرية والتهكم من واقعها التي تحياه إلى ترشيح نفسها لأن تكون رئيسة مصر القادمة، هكذا وبدون مقدمات. وبرغم البرجماتية التي طرحتها في بداية خطابها عبر مقطع الفيديو "عشان المليون جنيه" إلا أن سلمى لم تجد مشكلة في اتخاذ "البطة" شعارًا لها، وانطلقت نحو تكوين أعضاء الحكومة البديلة، والمهام الجديدة داخل بنية الدولة القادمة التي تعتزم الانطلاق بها نحو واقع أفضل، ولكن برؤيتها الخاصة.

اختارت سلمى ثلاث شخصيات لمناصب وزارية مهمة: أبو تريكة لحقيبة الخارجية "وأرجعت ذلك لموقفه تجاه غزة، لذلك

وجدت فيه الرجل المناسب لوزارة الخارجية" والداعية الإسلامي عمرو خالد وزيرًا للمالية"، أما وزارة الإعلام فطلبت أن تتولاها بنفسها، إضافة لمهامها الرئاسية، بحكم دراستها وتخصصها.

مرشح آخر، حقيقي هذه المرة، لكنه كوميدي علي كل الأحوال، أعلن بالفعل عن نيته الترشح لرئاسة الجمهورية، وبغض النظر أنه لا يستطيع إدارة قناته الخاصة "الفراعين"، والتي يخرج علينا من خلالها ليعلمنا كيفية تزغيط البط والفرق بين سعر وقفة البقرة في سوق الثلاثاء وسعرها في سوق الجمعة، أثارت نتيجة الاستفتاء الذي قدمه المجلس العسكري حول المرشحين لمنصب رئاسة الجمهورية على صفحته بالموقع الاجتماعي الفيس بوك حفيظة وغضب توفيق عكاشة، وأبدى استياءه من عدم نزول اسمه على صفحة المجلس ضمن قائمة المرشحين، معتبرًا أن ما حدث هو بمثابة " سهو" من المجلس.

الجدير بالذكر، أن نشطاء موقع تويتر هم الآخرون تحدثوا عن شروطهم التي يريدون أن تتوفر في الرئيس الجديد المنتظر.

وتعكس الشروط المقترحة كمًّا كبيرا من الأمنيات التي يريدها المصريون في رئيسهم الجديد، فهم يطمحون إلى رئيس من صنع رغباتهم وأمانيهم، خاصة وأن معظم الذين شاركوا في وضع تلك الشروط هم من أبناء العصر المباركي المخلوع، وهو ما يبرر وجود الكثير الشروط التي تريد إبعاد أي كلمة أو وصف أو تعليق أو حركة أو إيماءة كان يصدرها الرئيس المخلوع!

فجاء في الشروط "الشعبية": ألا يكون الرئيس الجديد منوفيا، وألا يستخدم مصطلحات مثل "محدودي الدخل"، "المرحلة المقبلة"، "لا مساس"، وغيرها من العبارات والجمل التي كان تتردد على مسامع الشعب المصري كل أول مايو!

اللهم يا رب المسلمين والنصارى اجعلنا نحن المسلمين لك وللوطن أنصارًا، واجعلنا نحن نصارى لك، وللوطن مسلمين"

مكرم عبيد

الكلام على الورق

حين تتشح مصر بالسواد.. ويبقى لون الدم، ليذكرنا بأهمية أن نكون شركاء، حينها تبقى الدولة المدنية فرض وواجب، على كل المصريين الإيمان به والعمل على تحقيقه، ليس لأن مفهوم الدولة المدنية يكفل المواطنة ويضمن حقوق المواطنين فقط، ولكن لأن هذه الدولة تؤسس علي بنية قانونية، لا مفر من عقاب الجاني، ومحاسبة الفاسد.

الأحزاب السياسية، التي تأسست بعد ثورة ٢٥ يناير، كتبت في برامجها أنها تطالب بدولة مدنية، وأضاف السلفيون في برامجهم الدعوة إلى دولة مدنية بمرجعية دينية، وكذا حزب الحرية والعدالة "الذراع السياسي لجماعة الإخوان المسلمين"، لكن مشكلة تبدو في عقدة "برامج الأحزاب" تكشف لنا عن برامج ورقية، لا تمت في كثير من الأحيان إلى الواقع بصلة، سيما وأن برنامج حزب النور السلفي يؤكد –على الورق– أن الحزب يؤمن بالدولة المدنية ويدعو لها، لكن في الوقت ذاته، أكد رئيس الحزب في المؤتمر التأسيسي الأول له على أننا "حينما سنتمكن من تطبيق شريعة الله عز وجل، لن نتأخر في ذلك"، ولا ندري كيف يسمح رئيس حزب سياسي باستخدام مثل هذه اللغة، وكيف يرى شريعة الله عز وجل التي يريد أن يطبقها علي المصريين، ولماذا كتب في برنامجه ما يخالف هواه.

إن الدولة المدنية ليست اختراعا، ومن حيث المظهر فهي ليست عسكرية، ومن حيث الفكر ليست ثيوقراطية أي لا يحكمها من يزعمون أنهم يتحدثون باسم السماء، وإنما هي دولة لكل مواطنيها، بغض النظر عن الدين والجنس والوضع الاجتماعي، وهي دولة تكفل لمواطنيها كل الحقوق بالتساوي الكامل، والدستور فيها لا يخضع لأغلبية ولا لأقلية.

كان هناك نوع من الإيحاء بأن الحكم في مصر يميل باتجاه الإخوان، وقد تمثل ذلك في اختيار رئاسة وعضوية لجنة التعديلات الدستورية، وتجلى ذلك الأمر بوضوح أكثر في قانون مباشرة الحقوق السياسية، الذي لم يضع نصا يمنع الإنفاق الزائد، ولا يضع سقفا له، ولا عقوبة على تجاوزه، وبالتالي أصبحت ميزانية الإنفاق مفتوحة، ومعلوم أيضا من يستطيع أن ينفق إلى ما لا نهاية.. كما لم يتضمن القانون نصا يمنع إقحام الشعارات الدينية في العملية الانتخابية، لكن بشكل عام هناك تيار يريد دولة مدنية، وهذا التيار يجب أن يتوحد لكي يحقق إرادته.

لا خلاف حول طبيعة الدولة المدنية، فهي ليست عسكرية ولا دينية، ويدار الشأن العام فيها من خلال سلطات عامة تشريعية وتنفيذية، تنتخب من الشعب وتراقب المؤسسة العسكرية والأمنية، ولا تحكم هذه الدولة باسم الدين، سواء كان ذلك من قبل فرد أو جماعة أو مجموعة أو مؤسسة، وهي

أيضا دولة مواطنة وحقوق متساوية للجميع دون تمييز، وهي أيضا دولة تضمن الحريات المدنية والسياسية والدينية، بما لا يتعارض مع الصالح العام، والمرجعية الأساسية لهذه الدولة هي الدستور والقانون، وبداخل هذه المرجعية الدستورية مرجعية دينية، وتتمثل في المادة الثانية من الدستور (مبادئ الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع).

والدولة المدنية لا تعادي الدين، لكنها تنظم العلاقة بين الدين والسياسة، لضمان عدم احتكار الحديث باسم الدين، وعدم الخلط بين المساحة الدينية والنواحي السياسية، فالدين مقدس، بينما السياسة بها تقلبات ومرونة، لكنها يجب أن تبقى سياسة نزيهة تبغي الصالح.

والدولة المدنية ليست ضد الإسلام بل هي التي تحافظ على الإسلام وتمنع عنه شر البشر. وشر البشر هم من يستغلون اسم الإسلام / أحكام الإسلام / شريعة الإسلام لأغراضهم الخاصة، لأن الدولة المدنية تتيح للجميع العبادة بحرية كاملة وبالمذهب المناسب.

والدولة التي تدعي أنها دولة دينية — وليس تجربة إيران بعيدة عنا — سوف تفرض عليك مذهبًا واحدًا فقط، هو مذهب حكامها، فلو كان حكامها يتبعون مذهبًا حنبليًا مثلا، سيمنعون عنك الأخذ من مذهب أبي حنيفة والشافعي وغيرهم، ولا مانع

من عقابك وسجنك، بل وجلدك لأنك خالفتهم. ومن يقرأ التاريخ سيجد عشرات العشرات من قصص الاضطهاد بسبب اختلاف المذاهب، رغم إنهم جميعا مسلمون، ورغم إن جميعهم سنّة!! بل إن أبا حنيفة نفسه ناله العذاب وضرب وسجن، لأن بعض مذهبه لم يكن على مزاج الخليفة!! وحدث مثله لابن حنبل !!

إن الموافقة على الأحزاب الدينية تؤدي إلى تنامي التيار الديني، موضحا أنه على الرغم من كون هذه الأحزاب الدينية تنبع من مبادئ دينية واحدة، لكنها ستخلف حالة من الصراع الشديد والمنافسة بين هذه الأحزاب. والموافقة على إنشاء هذه النوعية من الأحزاب ستخلف حالة من السيولة الحزبية التي تنشئ أحزابا قائمة على التمييز، وهو في حد ذاته ضد الدولة والقانون وضد الإنسانية.

إن "مصر" تعاني من أزمة حقيقية، على الجميع أن يعترف بها، وغياب معنى المواطنة بين المصريين أدى إلى انتشار ثقافة الوساطة والتمييز في كافة أشكال الحياة، وهو ما نبحث له عن حلول. وإذا أردنا أن نعيش في دولة مدنية تحترم عقيدة الآخر، وتكفل له حرية الرأي والفكر والتعبير، فإنه لابد أولًا من تفعيل مبادىء المواطنة والانتماء، بدلا من السب والقذف وازدراء الأديان والإنسان.

الحياة أقصر من أن نقضيها في تسجيل الأخطاء التي يرتكبها غيرنا في حقنا، أو في تغذية روح العداء بين الناس

براتراند راسل

الجحيم شو

يقوم الإعلام غير المسؤول وغير المهني بتوظيف القضية الطائفية في جذب المزيد من القراء، من دون وازع من ضمير يراعي المصلحة الوطنية. فبعض الإعلاميين ينفخ في الشرر ليصبح جحيمًا مستعرًا. ومع تصاعد دور وسائل الإعلام في تشكيل الرأي العام، أصبح له دور بارز في تعزيز الاحتقان الطائفي.

التشويش الذهني والفكري أصاب المتابعين للفضائيات الدينية، ليس فقط بسبب التضارب في الآراء والفتاوى، نظرا لأن العديد ممن تتم استضافتهم للفتوى غير مؤهلين في الوقت نفسه، وإصدارها فتاوى متناقضة ومتضاربة، بشأن قضية واحدة، مما يسبب الإزعاج والفوضى، وهو ما يؤكد أن الخاسر الوحيد هو المشاهد.

على شاشات الفضائيات الدينية يكمن السر، فقبل رحيل الرئيس مبارك، لعبت القنوات الدينية دورا بارزا في تقديم السم في العسل. تبتعد عن مناقشة قضايا الوطن ومعالجة مشكلاته أو نقد المسئولين الذين فشلوا في إحداث التنمية والإصلاح، في حين يصدر الشيخ عبد الرحمن العدوي على شاشة قناة الناس فكرة أن التغيير يأتي من داخل كل انسان، بعيدا عن الحكم والحاكم، ويربطون بين دعوتهم والآية القرآنية "إن الله لا يغير ما بقوم حتى

يغيروا ما بأنفسهم"، ويتجاهلون كل ما جاء في الأديان السماوية من ضرورة محاسبة الحاكم الفاسد، ومواجهته.

فى الوقت ذاته، قدمها نظام مبارك كبديل للجماهير عن جماعة الإخوان المسلمين، سيما وأن أصحاب تلك القنوات الدينية على علاقة جيدة مع السلطة، ويجيدون تماما أداء أدوارهم.

وتمويل القنوات الدينية، حتى هذه اللحظة، قضية تحمل العديد من الشبهات، جعلت كثير من رواد المواقع الإلكترونية يطرحونها على المنتديات الإسلامية والمواقع الخاصة بتلك القنوات أو صفحاتها على موقع الفيس. ولكن الأمر محظور حتى الحديث فيه.. مئات من التعليقات التى ستواجهك إن تجرأت على ذاتك وطرحت السؤال.

فى نفس الوقت، تبلغ تكلفة القنوات الفضائية ملايين الجنيهات، بالإضافة إلى ضرورة التجهيزات الفنية والتقنية، والتي تستلزم إمكانات مادية كبيرة. كذلك أجور العاملين والمهندسين والقائمين على شئون القناة. أضف أجور مقدمي البرامج والتي تقدر بآلاف الجنيهات! آخرون أكدوا أن القنوات الدينية المعروفة هي من تمويل بعض رجال الأعمال العرب في السعودية والأردن.. ربما؛ ولكن ما الذى يدفع رجل أعمال إلى استثمار أمواله في قناة لا تجلب إعلانا واحدا، يوفر أجر يوم واحد؟!

لكن الأمر المثير للدهشة، هو لجوء هذه الفضائيات إلى الدعوة بشكل فج لصالح التيار السلفي، سواء كان ذلك في الانتخابات البرلمانية التي تشهدها مصر، أو لصالح رموز السلفية ممن اقتحموا عالم السياسة، فكانت لهم هذه الفضائيات منبرا يوميا، يطلقون من خلاله التصريحات والخطب، ناهيك عن الاتهامات لكل من يخالفهم.

وأطلقت الفضائيات الدينية برامج منافسة لبرامج "التوك شو" التي يشاهدها الجمهور العربي علي الفضائيات كل ليلة، غير أن التوك شو الديني يختلف كثيرا عما اعتاد المشاهدون متابعته، سيما وأن هذه البرامج قد أطلقت كرد فعل من التيار السلفي لمهاجمة ما أسماه السلفيون "الإعلام العلماني"، ومن ثم افتقدت هذه البرامج الموضوعية والحيادية في معظم ما تقدمه من أخبار، مأخوذة من مصادر معروف سلفا مواقفها السلفية من كل ما هو غير "سلفي"، بالإضافة إلى افتقار التوك شو الديني إلى المهنية في تغطية التقارير، حتى إنه يسقط في أخطاء فاضحة بسبب انحياز القائمين عليه، وهو ما ينافي المهنية بالأساس.

ولم تطرح هذه البرامج قضايا جديدة تشغل أذهان المسلمين وتحثهم على تدبر أمور دينهم. فتجد هذه البرامج وقد وقفت مكتوفة الأيدي أمام الفساد الذي ينتشر يوما بعد الآخر في مجتمعاتنا العربية، واقتصرت على الدعاية إلى حزب سلفي يخوض

الانتخابات، أو تكفير رموز اجتماعية شهيرة في المجتمع، أو اتهام كاتب بالشذوذ وآخر بالجاسوسية. وطالما غابت الرقابة، فإن أحدا لن يحاسب هؤلاء على هذه الاتهامات.

على هذا النحو، يخرج مقدمو التوك شو الإسلامي في حلة مختلفة عن جلباب الدعاة – هم دعاة في الأصل – في محاولة لممارسة مهنة مقدم البرامج، ويقدم كل منهم ما في جعبته من آراء شخصية تخصه وحده، وتعليقه على الأخبار، وأهم التقارير التي تتعلق بالشأن السلفي أو الإخواني فقط، ثم يتلقى المذيع مكالمات هاتفية تكون فرصة عظيمة لهواة الشتائم والسب والقذف ورمي المحصنين دفاعا عن الإسلام – والحقيقة أن الدفاع يكون عن أفكار السلفيين وحدهم – في تحد سافر لأخلاقيات المهنة. وفي ذات الوقت، لا يتيح مقدمو البرامج الدينية الفرصة أمام من يهاجموهم ويسبوهم ويتهموهم في أعراضهم وشرفهم الدفاع عن أنفسهم وعرض وجهة نظرهم، مع أنهم في الأصل أطلقوا برامجهم للدفاع عن وجهات نظر تيار بعينه.

أحد هؤلاء الذين يتصدرون المشهد في برامج "التوك شو" الإسلامي هو الدكتور وسام عبد الوارث، رئيس قناة الحكمة، الذي أكد – في تصريحات إعلامية – أن أسباب توجه القنوات الدينية لبرامج التوك شو هي سيطرة الإعلام العلماني على أذهان الجمهور، وضرورة أن يكون لنا دور في عرض الأحداث ومتابعة

التطورات الجارية بشكل دقيق وموضوعي. ثم هو نفسه الذي قام بطرد أحد العلماء المسلمين حينما سئل عن رأيه عن الشيعة، فلم يجد الضيف مشكلة كبيرة، محاولا التقريب بين السنة والشيعة، فاتصل عبد الوارث وطالب مقدم البرنامج بإنهاء الفقرة فورا، فما كان من الضيف إلا أن تحدث عن إلحاح القناة علي استضافته، مؤكدا أن إدارة القناة مستبدة مع الضيوف، ولا تقبل الرأي الآخر.

التوك شو الإسلامي يركز على أخبار الإسلاميين، ويستضيف الشيوخ والعلماء الإسلاميين بتياراتهم المختلفة للتعليق علي تصريحات القوي السياسية المدنية، ويذهبون إلى أبعد من ذلك.. فعلى قناة الرحمة، وفي حلقة من تقديم الصحفي ملهم العيسوي، قام أحد الشيوخ بسب الكاتب الصحفي إبراهيم عيسى واتهامه بأنه متخصص في الكتابة الجنسية، فما كان من مقدم البرنامج إلا أن أخذته الحماسة، واتهم عيسي بالسعي وراء أجندات خارجية.

الشيخ خالد عبد الله، والذي كان يظهر علي الفضائيات قبل ذلك – يتهمها الآن بأنها علمانية – يقدم هو الآخر برنامج "مصر الجديدة" على قناة الناس، ويعتبر برنامجه "توك شو " للإسلاميين، فيتحدث بنبرة الإعلامي اللامع، منتقدا أداء الإعلاميين في الفضائيات الأخرى، ولا يتمهل في اتهام محمود سعد بالعمالة لصالح نظام مبارك، وضعف مستوى منى الشاذلي،

وعلمانية يسري فودة، في الوقت الذي لم يسمح لنفسه بمراجعة برنامجه، صاحب التوجه الواحد والرأي الواحد والإعداد الضعيف، معتمدا في مصادره على صحيفة ذات صبغة طائفية يرفضها أصحاب الفكر الوسطي، ولا ينسي دائما أن يختم حلقاته بسب الدكتور محمد البرادعي أو جورج إسحاق وحمدين صباحي. وإذا أردنا حصر خطابات بعض شيوخ الفضائيات، سنحتاج إلى مجلدات ومجلدات.

إن الخطاب الديني المنفلت غير المسؤول يفتقد إلى الاعتدال والوسطية، لدى بعض الدعاة ومنتجي الفتوى الإسلاميين، وكذلك بعض القساوسة والوعاظ المسيحيين. وهذه الآفة أحد أسباب اندلاع الفتنة الطائفية، لأن بعض تلك الخطابات وصلت إلى مرحلة التكفير والتحريض، والنيل من عقيدة الآخر وتشويهها، في ظل إصرار عجيب من البعض على الانتصار للذات على حساب الموضوع، وللفرد على حساب المجموع. يتم هذا مع تغييب قصدي واضح لتفعيل وتطبيق النص الديني الأصلي في الواقع المعيش. فالقرآن والإنجيل يحثان على التعارف والمحبة والتسامح، ويضعان الأسس العامة للعيش المشترك، ومع هذا يتم إهمالهما بشكل مخجل.

وقد أدى تفشي الأمية الثقافية في المجتمع إلى جعل قطاعات عريضة من المسلمين والمسيحيين مستلبة حيال الخطاب الديني

السطحي الاستهلاكي والاستعمالي، والذي يلبي حاجة يومية دائمة إلى الهروب من ارتكاب العيوب واقتراف الذنوب. وفضلًا عن استلابهم، لا يمتلك هؤلاء القدرة على نقد الخطاب الديني، لأنهم تعودوا الحفظ لا الفهم، والرواية لا الدراية. وهذا الوضع جعل عامة الناس من الطرفين يفتقدون إلى الاستقلالية في النظر المتبادل، ويسلمون سريعًا بكل ما يحرضهم على التعصب.

يجب أن تتعلم أن تكون راسيًا في خضم الحركة، وأن
تنبض بالحياة وسط السكون.

أنديرا غاندي

من يدفع الفاتورة ؟

منذ اللحظة الأولى التي خرج فيها الآلاف للتظاهر في الخامس والعشرين من يناير، والشعب يريد إسقاط نظام مبارك، بعد عشرات الاعتصامات والاحتجاجات التي شهدها شوارع القاهرة، احتجاجا على تردي أحوال المواطن المصري والغلاء الفاحش والمعاملة السيئة، بالإضافة إلى الانتخابات البرلمانية في أواخر عام ٢٠١٠، والتي شهدت إقصاء تيارات المعارضة، بعد عملية تزوير على نطاق واسع في معظم دوائر الجمهورية.

شعار الثورة الأثير ظل نبراسا لكل المتظاهرين "عيش.. حرية.. كرامة إنسانية"، بعد سنوات من الفقر والقهر والتجاوزات داخل أقسام الشرطة.

بدأ مسار الثورة الحقيقي منذ أن ظهرت الدعوة للاعتصام على صفحة "كلنا خالد سعيد" على موقع التواصل الاجتماعي الفيس بوك، تبنتها عدد من القوى السياسية والحركات الاحتجاجية. وفي أول ساعات الثورة، احتشد أكثر من ٥ آلاف ناشط في ميدان التحرير في مسيرة ضخمة، نددوا فيها بتردي الأحوال المعيشية وارتفاع الأسعار ومهانة المصري في بلده، وقد حملوا لافتات كتبوا عليها "انتخابكم مزور.. ومجلس باطل.. والبرلمان غير شرعي."

وتتعاقب أيام وليالي الثورة، وتستمر المطالبات ويرتفع سقفها، لا بديل عند المتظاهرين عن إسقاط نظام مبارك، حتى أنه حين قرر مبارك تعيين اللواء عمر سليمان نائبًا لرئيس الجمهورية، وأدى سليمان اليمين الدستورية، وكلف مبارك الفريق أحمد شفيق بتشكيل الحكومة الجديدة، واصل المتظاهرون إصرارهم على مواقفهم، فيما تزايدت حشودهم، مطالبين بمحاكمة النظام ورموزه المتورطين في نهب المال العام وترويع المواطنين.

وكانت هنا الصورة الأولى لمؤيدي الرئيس السابق حسني مبارك، أو من عرفوا إعلاميا بـــ"أبناء مبارك"، حيث نظموا مظاهرات رفعوا خلالها شعار "احنا آسفين يا ريس"، وسط دعوات لاستمرار المظاهرات الغاضبة، لإجبار الرئيس على التنحي. حتى وصلت الثورة إلى نقطة فاصلة، حين رفع المتظاهرون أحذيتهم في وجه مبارك، وحاصروا قصر العروبة الرئاسي في القاهرة، وقصر رأس التين في الإسكندرية، إلى جانب حصار مقر الإذاعة والتليفزيون، ليعلن بعدها عمر سليمان بصفته نائب رئيس الجمهورية بيان تخلي مبارك عن منصب رئيس الجمهورية.

غير أن مسار الثورة توقف طويلا عند أول شرخ في بنيان الجماعة الوطنية في التعديلات الدستورية. في تلك التجربة المبكرة ظهرت بوادر الانقسام في مصر، وتحول الخلاف السياسي

إلى صراع هويات، وتراشقت القوى السياسية على اختلاف توجهاتها، وظهر السلفيون في المشهد السياسي بعد أن غابوا عنه طويلا، فأربكوا الحسابات وقلبوا الطاولة على الجميع، بآرائهم الصادمة وأولوياتهم المختلة. وكانت "غزوة الصناديق" دليلا واضحا على الاستقطاب الذي حدث في التعديلات الدستورية، وهو المشهد المؤسف الذي يناقض مشاهد الوحدة الوطنية في ميدان التحرير، ويظل استغلال الدين قائمًا في المشهد السياسي بطريقة فجة.

مشاهد متتابعة تلت التعديلات الدستورية، لخصت بأحداثها المتلاحقة الصراع بين الثوار، الذين يرون في الضغط على المجلس العسكري، بصفته حاكم البلاد، لتنفيذ أكبر قدر من مطالب الثورة، وبين أولئك الذين يرفضون التظاهر والاعتصام في ميدان التحرير، اعتمادا على إجراء الانتخابات البرلمانية في موعدها المحدد، ومن ثم تسليم السلطة في أقرب وقت ممكن. وظلت مسألة الصراع بين الميدان والبرلمان قائمة حتى هذه اللحظة.

أحداث ماسبيرو، والقتلى الذين سقطوا جراء العنف الدموي الذي حدث أمام مبنى التليفزيون الحكومي كانت نقطة فاصلة أيضا في عام كامل مر على الثورة. ففي الوقت الذي كان ينظم فيه الأقباط وقفة سلمية للحصول على حقوقهم، يشاركهم فيها مصريون مسلمون، كان الدم يسيل على الطرقات.

في هذه الأثناء، كان الأزهر الشريف يشرف على مبادرة "بيت العائلة"، والتي تهدف إلى التقريب بين أواصر أبناء الوطن الواحد، ونبذ الخلافات للوصول إلى تعايش سلمي بين المسلمين والمسيحيين.

وفي حكومة الدكتور عصام شرف –وهو أول رئيس للوزراء بعد تنحي مبارك– سقط العديد من الضحايا أيضا في أحداث شارع محمد محمود. وكان الغاز والرصاص والدم عناوين رئيسية للمشهد، دون حذف أو إضافة. هنا تحدث المسئولون عن لهو خفي يعبث بمقدرات الوطن، ويقتل المتظاهرين، لكن أحدا لم يقل من هو هذا اللهو الخفي، ومن يحركه، ولمصلحة من؟!

مشهد آخر حفر لنفسه مكانا في ذاكرة العام الأول من ثورة الخامس والعشرين من يناير، ففي الوقت الذي كان يعترض المتظاهرون على اختيار الدكتور كمال الجنزوري رئيسا للحكومة خلفا للدكتور عصام شرف، نظموا اعتصاما لهم أمام مجلس الوزراء، وظل الاعتصام قائما والمطالب قائمة، والتي تنادي برحيل الجنزوري، واستبداله بأحد الرجال المحسوبين على الثورة، والذين يرى المتظاهرون أنهم أهلٌ لتنفيذ مطالبهم. لكن المشهد تحول مرة أخرى إلى العنف.. أمام مجلس الوزراء سقط متظاهرون، وقتل مدنيون.. فخرج الشباب في مظاهرات جابت ميادين الجمهورية مرة أخرى، لكن الهتاف هنا كان للتنديد بقتل

المتظاهرين ورفض العنف، حتى كانت الصورة الأشهر هذا العام، والتي توضح سحل فتاة على أيدي جنود مصريين، وهي الصورة التي أعلن من خلالها المتظاهرون الاستعداد للثورة الجديدة في ٢٥ يناير ٢٠١٢، للتأكيد على ضرورة انتقال السلطة إلى المدنيين وكتابة الدستور، ودعا سياسيون إلى ضرورة محاسبة المتسببين في قتل المتظاهرين طوال هذه الأحداث الجسام.

لم ينته المسار بعد، فالمشهد الانتخابي كان له وقائعه الخاصة.. طوابير أمام اللجان، وأحزاب عديدة خلقتها الثورة، تنتمي لأيدلوجيات مختلفة. كانت طوابير النساء أمام اللجان الانتخابية أطول بكثير من طوابير الرجال، وخرج المصريون لانتخاب ممثليهم في البرلمان بعد سنوات من التزوير واعتزال السياسة من قبل المواطنين.

في ظل هذه الأحداث، كان مسار الثورة يتعرض لحالة شديدة من التخبط. إذ كان الناس مصابين بقلق شديد على مستقبلهم، خاصة في ظل وجود مجتمع يعاني من الأمية السياسية، وضيق ذات اليد، وهو ما جعل البعض يفضل التروع إلى ما يسمى «الاستقرار»، طلبا للأمان الذي غاب عن الشارع المصري، وغياب الاستثمارات وهروب السياح. في المواجهة، كان شعار "الثورة مستمرة" يؤكد على مطالب الثورة.

وأنشأ المجلس العسكري مجلسا استشاريا، ليكون قناة وصل بين الأحزاب والقوى السياسية، وبين المجلس العسكري. لكن

الحقيقة أن دور المجلس الاستشاري ظل تشاوريا، دون أن يشعر المواطنون معه بتغيير السياسات أو حتى وضع أفضل بعد الثورة، مثلما حدث تماما مع حكومة الدكتور عصام الشرف، ثم حكومة الدكتور كمال الجنزوري.

والحقيقة، أن وقوع المجلس العسكري في الأخطاء، كان من الأسباب التى أججت مشاعر الغضب. ومن أبرز تلك الأخطاء استخدام العنف المفرط بحق المتظاهرين، مما أدى إلى قتل بعضهم وتلطيخ وجه الثورة بدماء الثائرين. المدهش أن مسئولي المجلس العسكري لجئوا إلى إلى إنكار ما حدث ومحاولة تبريره وتوجيه الاتهام للمتظاهرين، أو تحميل المسئولية لطرف ثالث والمعروف بـ "اللهو الخفي"، وهو ما جعل الثوار يخرجون مطالبين بتسليم مصر لسلطة مدنية، وهو الذى تنتظره مصر مع أول رئيس لها، بعد أكثر من نصف قرن من حكم العسكر. قطعًا نتمنى أن يستطيع الرئيس محمد مرسي، أول رئيس منتخب في تاريخ "أم الحضارات" تحقيق أهداف الثورة من عيش وحرية وعدالة، وألا تتحول البلاد لصالح "الحرية والعدالة"، مثلما كان يفعل دائما الحزب الحاكم في العصور الزرقا الماضية.

نحن في صبانا نبدو متأكدين من أشياء كثيرة، وفي شبابنا نحارب بحماس من أجل هذه الأشياء، وفي شيخوختنا نشعر أن المسألة لم تكن تستحق كل هذا الحماس، وأن أغلب الأشياء التي اعتنقناها في تعصب كانت خطأ.. هذا هو الداعي لأن يكون أسوأ السياسيين هم الشيوخ، لأنهم يعيشون في التردد والشك والافتقار إلى العقيدة.

الدكتور مصطفى محمود

مواقع إباحية

واقع الفقر والحرمان في الأحياء العشوائية، وأحزمة الفقر التي تحيط بالعديد من العواصم العربية تمثل حاضنة أساسية وبيئة خصبة لنمو الحركات المتطرفة، التي تغذيها عوامل التهميش والحرمان والبطالة وغياب التعليم، لتنعكس في صورة يأس اجتماعي، وربما نزعة للثأر من المجتمع أو الدولة المسؤولة عن مثل هذا التهميش.

وتجد الحركات الدينية المتطرفة البيئة الخصبة لنموها، مستثمرة هذا المناخ الغاضب، ومالئة الفراغ بأديولوجية هروبية، فتصبح الحلول في الآخرة بديلا عن واقع القهر والتهميش اليومي، وتستثمر طاقة الغضب واليأس لتغذية مشروعها العدمي ونزعة الانتقام من المجتمعات الحديثة، بعد أن خلصت إلى تكفيرها في أدبياتها وفقهها الديني.

وفى مصر، في ظل غياب أرضية ثقافية عند الفقير، تجعله دائمًا أكثر المتأثرين بتنامي تأثير التبريرات الدينية التي يطلقها السلفيون أو المتدينون على واقعه، ما يجعل المواطن يشعر بتلازم شعورين هامين هما الظلم والحرمان، ويسعى دائما لتغييرهما. وبما أن جميع الأطراف التي تبرر هذا الواقع هي أطراف غير ثورية، فهو يرى أن الحركات السلفية والجهادية هي الحركات الوحيدة التي من

الممكن أن تلبي رغباته، لكن هذا لن يتم إلا وفق أسلوبها هي ورؤيتها هي.

في هذا الإطار، نرى تزايد أعضاء هذه الجماعات الجهادية في مصر، وفي عشوائيتها تحديدًا، وإن لم يكونوا كلهم على الدرجة ذاتها من حمل الفكر الإرهابي، إلا أن مساعدات عالية وواضحة من هذه الجماعات لأحدهم "تكون علنية، مثل تقديم المال من أجل عملية طبية، أو تأمين نفقات زواج، أو مساندة عضلية خلال معركة، فإنها ستعزز التزام العضو في الجماعة، خصوصًا أن هذه الجماعة تتعاطى معه وفق مبدأ الأخ، في أخوية دينية هدفها الارتقاء بالعالم نحو الخلاص من خلال الجهاد.

الفقير دائمًا ينتابه شعور من الحرمان، وفي كثير من الأحيان يراوده شعور بالضيق بواقعه. وإذا راقبنا غالبية الأفلام والمسلسلات المصرية، نجد أكثرها انتشارًا تلك التي تناقش هذه الحالة، وبخاصة تلك التي تبين الفوارق الاجتماعية بين الطبقتين الغنية والثرية.

الجماعات السلفية دائمًا تبحث في المناطق المعزولة عن السلطة الأمنية، مثل إمبابة والعمرانية وعين شمس وغيرها من المناطق في مصر. ويلاحظ دائمًا في هذه المناطق –ونتيجة غياب مؤسسات واضحة للدولة، وغياب عريض لخدمات البنية التحتية– أن المواطن القاطن في هذه المناطق في حالة تيه اجتماعي بين قيمه المتربي عليها، واحتياجاته التي لا توفرها السلطات

السياسية في البلاد، مما يجعله من أشد الناقمين على النظام في بلده. إذًا الفقر أكثر الأمراض الاجتماعية الخطرة التي تخرج الناس عن عقولهم.

يختلف الوعي الديني في العشوائيات عن الوعي الديني في الأماكن الأخرى، ويرجع هذا إلى ثلاثة أسباب:

أولها الثقافة في المناطق العشوائية شبه منعدمة، نتيجة لارتفاع نسبة الأمية بين الرجال والنساء، لأنهم لا يهمهم إلا أن يعيشوا كيفما يريدون. كذلك انشغال الناس بالبحث عن لقمة العيش، كما أن التعليم في هذه المناطق لا يهتم به سكانها، لهذا نجد أعلى نسبة تسرب من التعليم في هذه المناطق.

أما في المناطق الحضرية أو الراقية، فنجد أهلها ذوى ثقافة عالية، ولديهم وعي يتعايشون به مع الحياة، والكثير منهم ينظر إلى العمل وكيفية الاستفادة منه والارتقاء به.

أما ثاني الأسباب، فهو الجانب الديني في العشوائيات، والذى يتحكم فيه أصحاب الفكر المتعصب الجامد، والذين يلتفون حول أنفسهم ولا يقبلون النقد أو الحوار، وبالتالي يستطيع مثل هؤلاء أن يؤثروا في غالبية أبناء هذه المنطقة، وينجحون في ذلك لعدم وجود تعليم صحيح ولا توعية دينية سليمة، وبالتالى ينشرون

الأفكار المغلوطة عن غيرهم، ولا يطبقون مبدأ التسامح فيما بينهم.

أما في الأماكن الحضرية والراقية، ذات التعليم والثقافة، فلا نجد مثل هذه الأفكار الجامدة، لأن الثقافة والقراءة والاطلاع والمصالح المشتركة بين المسيحى والمسلم تمثل مانعا أصيلا لظهور مثل هذه الأفكار المعوجة.

أما السبب الثالث وراء اختلاف الوعي الدينى بين العشوائيات والحضر، فهو عدم الاهتمام بمطالب المناطق العشوائية، من ناحية المرافق والاهتمام بوجود نواد للشباب ووسائل تقوم بتبصير الناس للفهم الصحيح للدين، بينما المناطق الحضرية بها كل الوسائل التى تؤدي لتنمية الفكر الصحيح.

وبعض الأئمة لا يهتمون برسالة الدين الاهتمام الصحيح وبتبصير الناس، فإمام الجامع في العشوائيات لا يهتم بتنمية معلوماته أو بالقراءة وتوسيع مداركه، بينما عندما يذهب لمساجد الحضر والمناطق الراقية يهتم، لأن رواد المساجد في هذه المناطق لا يتأثرون به، ولكن يسألونه عن مصدر معلوماته الدينية ويناقشونه؛ بينما في العشوائيات، حيث الفكر الثقافي المنخفض فإن أي معلومة يقولها يتأثرون بها. ولهذا نجد أن أصحاب الفكر الديني المتطرف يعيشون في هذه المناطق، التى يستطيعون أن

يؤثروا على أهلها بسهولة، بالإضافة إلى استغلالهم لأهل العشوائيات، من خلال مدهم بالأموال والعون على حياتهم.

هم لا يشعرون بالأمان، فهؤلاء يعيشون في خوف وجوع، وبالتأكيد والمنطق فإن هؤلاء سيكونون فريسة سهلة لمن يستغلونهم باسم الدين، أو يستغلونهم في أعمال غير مشروعة؛ المهم من الذى سيعطيهم ليسدوا جوعهم. وبالتأكيد، سيسيرون وراء أفكاره مهما كانت خاطئة، وبالتأكيد سيقتنعون بالفكر الدينى المتطرف أثناء وجوده في وسطهم، خاصة لأنهم في حالة جوع وخوف وجهل أيضا.

إن الإسلام به سماحة ورحب وسعة، تستوعب الاختلافات البشرية. فكيف يستخدم مثل هذا الدين، الذي جعل – مريم العذراء أولى نساء العالمين– لترويع أهل الكتاب؟!.. هم لا يدركون.. الفقراء يعانون على اختلاف مشاربهم ودياناتهم، لقمة العيش تقهرهم بلا رحمة.. التهميش لهم جميعا، والحرمان من حياة كريمة تليق بإنسانيتهم.. الأنظمة المستبدة هي التى تجرأت وأفسدت وأضرمت النيران بلا هوادة.

فى دراسة للدكتورة عزة كريم، أستاذ علم الاجتماع، تؤكد أن هذه العشوائيات تعد وسيلة أساسية لإفراز الارهاب الديني والبلطجة والعنف المتبادل والسرقة.. كما أن العشوائيات تمثل مصدرًا هامًا لتوريد البلطجية لمرشحي الانتخابات في العهد السابق، لإرهاب منافسيهم والتعدي عليهم.

وقد أكدت الدراسة وجود أكثر من ٣١٠٠ منطقة عشوائية ٨٠٪ منها يقع في القاهرة.. أي أن عدد سكان العشوائيات يصل في المتوسط من ١٠ إلى ٥١ مليون شخص..

وألقت الدراسة الضوء على المخاطر الصحية التي تنتشر بالمناطق العشوائية، وأهمها تلوث الهواء، وذلك عن طريق إلقاء القمامة في الشارع.. غير انتشار الأمراض بين سكانها بسبب هذا التلوث، سواء كان هوائي أو مائي. وأكدت الدراسة ان سكان العشوائيات يعانون سوء المعاملة من أفراد الشرطة، الذين يتعاملون مع سكان العشوائيات وكأنهم جميعًا مجرمين، لايدركون أن هناك مواطنين لاذنب لهم في الحياة سوى أنهم يعيشون في العشوائيات. وهنا جانب آخر من الدراسة ركز على أن هناك أزمة ثقة بين الحكومة وسكان العشوائيات، حيث إنهم دائمًا يتشككون في وعود الحكومة الواهية، وأنهم لايتدخلون لحل أزمتهم إلا بعد أن تقع كارثة كبري.

الأسرة المصرية تنفق ٤٤.٩% من إجمالي إنفاقها على الطعام سنويا، والطعام يأتي في المرتبة الأولى من حجم إنفاق الأسرة المصرية، فيما يتوقع خبراء اقتصاد أن يتضاعف هذا الرقم في السنوات المقبلة، خصوصا في الأسر الفقيرة والمتوسطة، بسبب الارتفاع الحاد في أسعار السلع الغذائية المصرية، والذي بلغ نسبًا غير معقولة، تتراوح بين ١٠٠ % و٢٥٠% خصوصا أسعار

الزيوت والدقيق. كما أكد تقرير الصندوق الدولي للتنمية الزراعية التابع للأمم المتحدة وجود ٤٨ مليون مصري فقير، يعيشون في ١,١٠٩ مناطق عشوائية. ووصف التقرير هؤلاء الفقراء بأنهم جوعى ومرضى. من ناحية أخرى أشار تقرير الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء عن خريطة الفقر في مصر أن هناك قرابة عشرة ملايين مواطن يسكنون في ألف قرية مصرية، تعتبر هي الأفقر في البلاد. يأتي ذلك في الوقت الذي أفاد فيه تقرير الأمم المتحدة عن التنمية البشرية لعام ٢٠٠٧ أن ١٤ مليون مصريا يعيشون تحت خط الفقر، بينهم أربعة ملايين لا يجدون قوت يومهم، لتبقى مصر في المركز ١١١ بين دول العالم الأكثر فقرًا. كما أن نسبة السكان الذين يعيشون تحت خط الفقر عند مستوى إنفاق دولار واحد في اليوم تبلغ ٣.١%، بينما تبلغ نسبة مستوى إنفاق دولارين في اليوم ٤٣.٩%.

إن نسبة الفقر في مصر نسبة لا يستهان بها، ولقد زادت تكلفة المعيشة بسبب السياسة الرئيسية التي تم إتباعها، مثل إلغاء الدعم، وتخفيض قيمة الجنيه، والزيادة في أسعار الطاقة والنقل والسلع التي كان ينتجها القطاع العام، وزيادة الضرائب غير المباشرة وتوسيع قاعدتها. وأصبح الدعم قاصرا على السلع أو الخدمات الاستهلاكية الأساسية، مثل المواد الغذائية الأساسية والنقل. وهذا أدى لحدوث زيادة في سعر السلع المستوردة، بما في ذلك البنود الغذائية الأساسية مثل القمح والدقيق، بالإضافة

إلى أسعار السلع الرأسمالية والوسيطة المستوردة. وأدى ذلك بالمقابل لزيادة تكاليف الإنتاج للسلع التي يتم إنتاجها محليا والمستوى العام للأسعار، ومن ثم تكلفة المعيشة، وما أثر سلبا أيضا على توفير فرص التوظيف. وطالما أن الفقراء هم الأقل من حيث التعليم، وليس لديهم اتصالات اجتماعية مؤثرة، فقد تكون فرص حصولهم على وظائف معدومة نسبيا، حينما يتجه سوق العمل للانكماش.

الجماعة الإسلامية كانت تحكم إمبابة في عقد التسعينيات رغم أنف الحكومة، وكان الممول الأول لها شخص يدعى الشيخ جابر، وهو شخص كان يعمل طبالا، ثم قرر أن يلتزم، فرض هو وأتباعه فكرهم على مجريات الأمور في الحي، وشنت جماعته هجمات مسلحة متقطعة ضد الحكومة، واستقطبت الآلاف من الشباب لسماع خطب شيوخ الجماعة، التي كانوا يشيرون فيها إلى حتمية القضاء على الفساد وكل ما من شأنه معاداة الدين الإسلامي بأي ثمن .

وأصبح جابر بعد وقت قصير بطل إمبابة، بعدما دخل في أمور الفصل في النزاعات بعيدا عن رجال القضاء والشرطة، وفرض النقاب على النساء، وحرق المحلات التي كانت تؤجر شرائط الفيديو الغربية، وأجبر المسيحيين على دفع الجزية، وأرسلت الحكومة ما يزيد على ١٢ ألف جندي وعربات مدرعة، في محاولة منها لإنهاء هذا التطرف، لكنها فشلت في ذلك،

واضطرت إلى احتلال حي إمبابة لعدة أشهر، إلى أن تم القبض على جابر، بعدما سهل أهالي المنطقة المهمة على الحكومة وأبلغوها بالمكان الذي يختبئ فيه جابر وجماعته، وتم القبض عليه بعد سبعة أيام من المطاردات، بعدما تحولت إمبابة إلى دولة داخل الدولة، لها قوانينها الخاصة وحاكمها المطلق.

لكن حي إمبابة يأبى أن يختفي، كأنه يريد أن يذكر المصريين بعد ثورتهم في يناير الماضي بما حدث في التسعينيات، فالمساجد التي يتصدرها إخوان وزملاء يعقوب وشومان وحسان مفتوحة على أبوابها، تستقبل شيوخا يحرضون على حرق الكنائس، ويحتشدون من أجل فتاة لا يعرفون صحة اختطافها من عدمه، ويختصرون خطابهم الديني في سب أقباط مصر.

في إمبابة أيضًا، تهديدات وذعر وخوف بسبب انتشار البلطجية ودعم السلفيين لهم، في مقابل حماية مجالسهم داخل مساجد الحي. وبحسب كلام سكان المنطقة، فإن أكثر من ٥٠ ألف بلطجي يهددون سكان إمبابة، في ظل الخوف الذي يتملك بعض ضباط الشرطة من التعامل مع بعض المسجلين خطرًا، وغض الطرف عما يرتكبونه من جرائم، بسبب عدم توفير الحماية الأمنية الكافية للضباط، وهو ما أدى إلى انتشار العصابات الإجرامية وتجار السلاح والمخدرات، بالإضافة إلى حرمان معظم سكان تلك المناطق من أقل الاحتياجات الإنسانية،

ومن ثم سيطرة التشكيلات الإجرامية وفرض الإتاوة، وقانون الغاب المعتمد على القوة واستباحة الممنوعات، ولجوئهم في حل نزاعاتهم إلى ما يمكن أن يسمى "بالزعيم"، متجاهلين الاحتكام إلى أقسام الشرطة، التي تعد عدوهم الأول، بالإضافة لاستغلالهم سكان هذه المناطق لمساعدتهم في شتى أنواع الجرائم، وذلك لعدم وجود سجلات خاصة بهم لدى الحكومة تمكن رجال الشرطة من جمع المعلومات عن أحدهم إذا ارتكب أو شارك في جريمة معينة.

وبدا من الواضح أن عشوائيات مصر، تلك المناطق المفخخة بقنابل موقوتة، تحتاج إلى مزيد من الاهتمام ودعم الأهالي على المستويين الاجتماعي والثقافي، خاصة وأن أهالي المناطق العشوائية يشعرون بعدم الانتماء وعدم الاستقرار الدائم، فهم بلا أسرة وبلا عمل، ولا يستطيعون توفير المسكن ولا الزوجة، وكل ذلك يخلق لديهم نوعًا من الغل وروح الانتقام والتمرد على المجتمع.

أحداث كنيسة مارمينا، التي سقط بسببها أكثر من ١٢ ضحية، وما يزيد على ٢٧٥ مصابا، كشفت عن أن أفكار وقوانين وإجرام "الشيخ جابر الطبال" تنذر بالعودة مجددا، بعدما جزمت تلك الأحداث بأن نيران المتطرفين مازالت موقدة، حيث تريد الجماعة السلفية بهذه النيران احتراق كل ماهو مغاير للشريعة الإسلامية، لكنهم تجاهلوا أن الإسلام لم يدعو لاقتحام المنازل والكنائس لإحراقها أو اضطهاد الأقباط.

كم إمارة مثل إمبابة في مصر؟ وكم جابر الطبال؟ ثم كم عدد أطفال الشوارع، القنبلة الموقوتة التى يتجاهلها رئيس الثورة وحكومته، التى اختارت إغلاق المواقع الإباحية، وتركت كل هذا الواقع الإباحي من فقر وجهل ومرض؟.. تركة أعلم أنها ثقيلة، لكننا في مصر الثورة، التى سقط من أجلها الشهداء، وضحى في سبيلها الشباب. يقول الإمام أبو حنيفة "لا يستشار من ليس في بيته دقيق".. ويقول المفكر الجزائرى "مالك بن نبي": "كيف أصلي وأنا جائع؟!".. بما يعنيه ذلك من أن الذي لا يجد حد الكفاية لتأمين احتياجاته الإنسانية، كيف له أن يفكر؟ وكيف له أن يكوّن رأيا؟ وكيف له أن يعبر عنه؟ كيف له أن يراعي حق الخصوصية للآخرين وخصوصياته منتهكة في العشوائيات؟ أنى له الصلاة وحياته محض خيالات.

ما أتينا إلى الحياة لنشقى. .. فأريحوا أهل العقول العقولا

إيليا أبو ماضي

الدور على مين ؟

مثل كل شيء يمر علينا مرور الكرام، وقعت عشرات الحوادث الكارثية في الشهور القليلة الماضية، وكنا نكتفي بهز الرؤوس تعاطفًا مع الضحايا، أو برفضٍ صامتٍ لممارسات الحكومة. نهرب من مشاكلنا لنتقوقع كما ضفدع البرك، ونبحث عن مخرج يناسب هذا الموقف المريب حقًا، ونجهل حقيقة لاريب فيها، وهي أن الجرائم تتكرَّر طالما كان الجاني حرًا طليقًا يخشاه الناس، أو يفضلون رفضه بقلوبهم.. دعنا من برودة مشاعرهم أو ضمائرهم، التي هي في أجازة مفتوحة. لكن السؤال الذي يفرض نفسه هنا: هل تناسينا شهداء العبَّارة ودموع أسرهم؟ أو قطار الصعيد الذي أحرق قلوب أهالي الضحايا؟ أو كل ابن مات والده جراء إصابته بأمراض سرطانية نتيجة فساد "معاليهم"؟!! ناهيكم عن كل هذا، هل تناسينا شهداء "نجع حمادي"، شباب كما الزهر، يقبل على الحياة في محاولة لفهمها، لكنها الأيادي الآثمة تفرض نفسها، وبقوة الظلم. وهذا غيض من فيض بالتأكيد، الــ (منيو) طويلة، وهوى فيه أغلى من الدم؟! إذا كنتم قد تناسيتم جريمة "الإسكندرية" واستهداف أمن "مصر" وشعبها، فهل نسيتم ضحايا قطار "سمالوط"؟! الأمر هنا لا يمكن حصره في عدد أو في كيفية؛ فالحكومة التي لا تستطيع حماية شعبها، لا يمكن تحميلها الحد الأدنى من المسئولية. الإشارة هنا تكمن في هذا المختل! وبعيدا عن اسم "عامر عاشور عبد

الظاهر"، سواء كان مختلًا أو مصابًا بمرض نفسي، أنت هنا المقصود.. بالطبع لن أخدعك. وعلاقتي بك– صديقي المصري– تؤهِّلني لمصارحتك بذلك، فأنت وأنا وكلنا هذا المختل! كلنا يتخذ من النعامة مثلا أعلى في كيفية دفن الرؤوس في الرمال.. نقرأ الخبر، نسمعه على شاشات الفضائيات، ولا نصدِّق سوى التليفزيون المصري، وهو يعطي للحدث رونقه الخاص، فيحذف ما يؤثِّر على أعصابنا، ويضيف بعض الماكياج، ونحن نصفق من أجل فوز الأهلي، تتابع الجرائم والقضايا، وتمتلأ الصحف والمواقع والمنتديات بكلام من سيخلص قومه من القهر، وينتهي الحماس بكتابة تعليق لا يسمن ولا يغني من جوع. يثور وهو يجلس على "التشات"، ويتراشق مع أعضاء الحزب بفيديوهات اليوتيوب، هي إذًا ثورة أون لاين! لماذا لا نسأل أنفسنا من فينا المختل؟ هل من يرتكب الجريمة، أم من لا يقدِّم الجاني للمحاكمة العادلة؟ وهل هو القانون الذي ذهب إلى "الترزية" وعاد ليكون وصمة عار في تاريخ "مصر"، أم هو الفساد الإداري الذي سمح لمريض نفسي بحمل سلاح وقتل ضحايا عزل لا ناقة لهم ولا جمل؟!! أيها السادة، إذا كانت المحبة هي كلمة السر في الأرض، تؤلِّف بين القلوب، وترسم السلام بين الشعوب؛ فإن هذه المحبة لن تتواجد قبل أن يتخلص كل منا من هذا المختل الذى بداخله، حتى نعيش بدفء صوت مآذن المساجد يعانق أجراس الكنائس.. صدق الأخوة في الحزب الحاكم..

"لسه الأغاني ممكنة"، تصدقوا. هكذا انتزع شعب "تونس" كرامته من أفواه الديكتاتورية؛ ليلقِّن حكام العرب درسًا قاسيًا،

مفاده "للظلم حدود"، وأن الشعوب ربما تصبر كثيرًا على حكامها الذين باعوا ضمائرهم- تساوي كام- من أجل الجلوس على الكرسي. مش قلنا نجيب كرسي تيفال عشان ميلزقش. لكن ستأتي اللحظة- شئنا أم أبينا- ليعلن فيها الشعب رفضه للظلم والخيانة، ويصرخ أفراد الشعب بصوت الغضب الذي طالما كتموه داخل صدورهم. العيون متحيِّرة، تتساءل في دهاء من أراد التخلص من القهر المصحوب بفقر وذل ومرض وكوكتيل فساد: الدور على مين؟! وحتى أصدقكم القول، لو كنت رئيسًا لدولة عربية، لتحسست مسدسي على الفور. فالرجل الذي قضى (٢٣) عامًا في "تونس" رحل في غمضة عين.. رحل غير مأسوف عليه.. وغنَّى الشعب في ساحاته الواسعة: "إذا الشعب يومًا أراد الحياة، فلابد أن يستجيب القدر". "زين العابدين" الذي حكم البلاد بالحديد والنار، فضَّل الهروب بكل عار وخسة على أن يتنحى! ربما حفاظًا على ماء وجهه.. لا أدرى ما سبب كراهية حكامنا العرب للتنحي! ربما العمر هو السبب المنطقي للتنحي.. ربما رفض الشعب لسياسات الأنظمة، وربما أيضا نرى إخواننا الحكام في القريب العاجل يطيرون في فضاء السماء؛ بحثا عن شقة تأجير، أو حتى غرفة بحمام مشترك.

وبعيدًا عن السياسة وألاعيبها، والقضية العربية وحواريها؛ السؤال الذى كان يلح عليَّ وأنا أتابع الأحداث الأخيرة في "تونس": هل تصوَّر حاكم "تونس" أن دماء الشهداء التي سالت على أرصفة الشوارع والطرق كانت "ببلاش"؟ وهل تخيَّل هذا

الرجل أن الشاب الذي أضرم النار في جسده هو ابنه أو شقيقه؟ قطعًا الإجابة مخزية!.. أتذكَّر الرئيس "عبد الناصر" وهو ينادي في المصريين بعد النكسة، قائلًا: "كلكم أولادي، وأنا ابنكم، أنتم من يستحق التضحية".. وهل خطاب التنحي عنا ببعيد؟! لحظة فارقة في تاريخ شعوب العالم العربي.. كابوس أصبح بعبع لكل حاكم. وهنا في "مصر"، الديمقراطية تتأرجح على سلالم الهوى. أنظمتنا المحمية ومعارضتنا تتراقص على سلالم النظام، وأحزابنا تبارك خطوات النظام أو تمشي داخل الحائط عشان ماتزعلش حد، والنخبة التي كنا نعقد الآمال عليها تتصارع على صفحات الجرائد وشاشات التلفاز من أجل نظرية هنا وهناك.. نظرياتهم لا تعرف التطبيق، والشعب ملَّ من "فيثاغورث" والميتافيزيقيا، والخصوصية الثقافية تراها الناس الطيبة في بلادنا حاجات لا بتودي ولا بتجيب! من يخشى صعود الجبال، يعش أبد الدهر في انتخابات مزوَّرة، وتمييز، وطائفية، وتعصب أهوج. ويبقى السؤال الأهم: نفسك الدور على مين؟ قولوا يارب

كتبت يوم ١٧ /١ / ٢٠١١

قبل ثورة التحرير ورحيل المخلوع

لا تتجاوز حقوقك، فحقوقك ستصبح قريبًا غير محدودة.

جان جاك روسو

قوطة يا بلد

أهلًا بكم. أحدثكم من أمام عصائر البرتقال وأدوية البرد وأكواب- لا حصر لها- من الينسون والنعناع الطازج. هذا طبيعي جدًا في هذا التوقيت "المثلج"، والبرلمانات "الكسكسي". للبرد في بلادنا مذاق آخر؛ برودة قلوبهم لا تُقارن. فلننساهم قليلًا عسى أن نستمتع بحبات الأوكسجين النقي. في البرد تختفي عوادم السيارات لفترات طويلة. الشبورة تؤذي السائرين نيامًا، والمصريون يتفننون في النوم أثناء السير، أو "بلبعة" المخدرات. أصبح من عرف السائقين تناول المكيفات؛ لهذا يخشى الكثيرون على أنفسهم من شبورة الطرقات. في بلادنا لا تسبب الشبورة الحوادث المرورية وفقط، قد يصل الأمر أحيانًا إلى ضياع ممتلكات بلد بأكمله. بمنتهى الدقة، نحن نعاني من شبورة ترافقنا طوال العام. الحكومة المصرية تشتكي من ضعف في النظر- أشك في كونه قصر نظر- والشبورة هي السبب، شبورة الفساد قضت على أحلام المصريين الذين طالما تمنَّوا أن يسأل فيهم "واحد من الكبار".. مشغوليات ومسئوليات ومصانع وشركات وقروض الكبار، كل هذا شبورة في حد ذاته، تمنعهم من ممارسة دورهم الكبير. ولأننا نفتقد رموز الثورة، الذين لو عاشوا ما نعيشه اليوم، وعانوا من نفس المعاناة، لخرج أصغرهم سنًا وصرخ من

أعماق حنجرته "يا كبير، إنت أصلًا شغال عندنا". فلننس قليلًا- سأنصحكم بدواء للنسيان في المقالة القادمة مريح جدًا- شبورة الكبار.. أنا وأنت وهي وهو وهم، جميعنا نعاني من شبورة قاتمة تخفي النفوس قبل الوجوه. سرطان "التمييز" الذي بات يحاصرنا وينغص علينا عيشتنا.. ابن المسئول الذي يفتخر بوالده، ليقول بالفم المليان "إنتو مش عارفين أنا ابن مين في مصر".. التمييز الذي تمارسه علينا الحكومة ونشاركها الجريمة في وضح النهار دون أن ندري؛ فتقدم "وظايف الميري" لأصحاب الوسائط الميري أيضًا وتجار الكرسي.. شبورة الأطباء في المستشفيات الحكومية التى ترفع شعار "المستشفى في خدمة عزرائيل"، والداخل مفقود والخارج مولود وأمه داعية له وراضية عنه.. الشبورة التي تتحكم في مصائرنا، ونتناسى معها إننا جميعًا "أولاد حوا"؛ فنوزِّع الاتهامات بالعمالة والكفر والخيانة، ونستعجل يوم القيامة؛ لننصب من أنفسنا آلهة تحاسب الناس.. الشبورة سبب في أن ننسى محاسبة أنفسنا أولًا وأخيرًا. لذا، فإننا حين نلوم برد الشتاء، نقدِّم لأنفسنا "كذبة ونصدِّقها"؛ لأنه برد صريح مريح وشبورته NOT AT ALL. لكن الواقع الذى يفرض نفسه ويفرض شبورته، يجعلنا نصدِّق أن الحكومة ليست وحدها على خطأ، وإننا نمارس معها جرائم التمييز وإقصاء الآخر بأنانية موحشة ونزوات شيطانية. وفي حين أننا دائمًا ما نتهم القوطة

بأنها حمراء، نتناسى أن هناك من القوطة ما استوى، وهناك ما منعته الشبورة من أن يكتسي باللون الأحمر. فيظل جامدًا صلبًا كقلوب الكثيرين الذين لم يشعروا بعد بالشبورة الحقيقية داخل نفوسهم شديدة البرودة.

قد أختلف معك في الرأي، ولكني على استعداد أن أموت دفاعًا عن رأيك.

فولتير

على كوبري قصر النيل

أصعب لحظات حياتى هي تلك التى تتعلق بالموت، وعلى كوبرى الُعشّاق كانت الحياة تبدو أكثر أملًا وتفاؤلًا. الشباب يهربون إلى معبد الحب، في وجه الحبيبة يكون الأمل، والأمل في هذا الزمن العجيب العتيد أصبح عملة نادرة. ولأنني فشلت في السيطرة على قلمي، الذى حاول كثيرًا الكتابة في هذه الحادثة، أو قل يا عزيزي هذه المصيبة، وعلى الرغم من مرور أسابيع قد تمتد لتحفر داخلنا نسيانًا مؤجلًا، إلا أن هذا الشاب ظلت قصته تراودني ليل نهار.. "عمرو" الشاب المصري الأصيل، الذى حاربه الفقر والذل والحاجة، وقتله اليأس؛ فاختار الرحيل في صمت؛ ليبتعد عن قتلة الأحلام وسماسرة الرشاوى، وتجار الدين، الذين كفّروه ووصفوه بالمنتحر الأحمق، الذى قتل نفسه من أجل فتاة.

على كوبرى قصر النيل كانت لحظات سعادته، واعترافات الحب والغرام، مثله في ذلك مثل كثير من شباب "القاهرة" الآسرة الساحرة. يحكي هو عن تصوره لحفل الزواج، ويرتب مع حبيبته أحلامهما، وتختار هي أسماء الأطفال ومدارسهم، الحلم في حياهم نور يضيء ما أظلمته الحاجة القاتلة.

يفشل "عمرو" في تدبير نفقات الزواج، يتذكر أنه لن يستطيع بعد اليوم أن يمرح على الكوبري، اختار أن يعدم فيه شبابه،

الحب.. وقف الأسدان غير قادرين على تحقيق أحلامه.. في غابة الحياة أسود ووحوش أيضًا يكرههم "عمرو"، وأراد أن تصل إليهم الرسالة..كان من الممكن أن يلقي بنفسه في مياه النيل، أو يشعل النار في جسده، أو ألف طريقة للانتحار، لكنه اختار كوبرى العشاق؛ حتى يصرخ من عليه صرخة مدوية، تملأ فضاء الدنيا بأسرها. لم ينتحر "عمرو" أبدًا، بل سرق الفقر حبيبته، ونشل مستقبله، وجرّده من أحلامه. أراد "عمرو" أن يصل برسالته إلى الحكومة المصرية، التى تقسم بالغالي والثمين أن تحوّل حياة المواطن المصري إلى جحيم، وأن يصبح مصير الشاب في أرض الكنانة الانتحار على كوبري، كان معروفًا بأنه قد خُلق للحب. "عمرو" أيضًا أراد أن يحذّر الشباب من واقعهم الأليم.. ربما تصور أن العشرات من الشباب ستكون نهايتهم على كوبري العشاق!! أراد "عمرو" أيضًا أن يتوجّه بالرسالة الأهم ليقول: "يا من تتاجرون بآهات الوطن وأوجاع البسطاء، وتذبحون كل القصص الجميلة والذكريات الحلوة.. ارحمونا.."

قتل نفسه من أجل فضح كل الفاسدين، ومروّجي الكراهية.. قتل نفسه من أجل أن نصارح أنفسنا بواقعنا الفاسد؛ وحتى لا يتحول معبد الحب على كوبري قصر النيل إلى مشنقة تقتل الحب، والهوى، والغرام ..

المدينة العظمى هي التي يسود فيها العلم والحرية
والإخاء والوفاء.

ميخائيل نعيمة

صرخات مكتومة

ترنو إليه بنظرة لا يفهمها غيره، حين أقبل الليل.. لقاء الزوجين على كلمات الحب، يتدفق حديث الزوج العذب، يفتح بوابات قلبه لتخرج شلالات من قصائد، وتبادله نفس المشاعر.. تفيض الأسرار من فتحة فمها، يتصاعد هدير كلماهما ثم ينخفض، ليلة هادئة في حياة الزوجين. السيدة في منتصف العمر، تقبل على الحياة وثروهما فيها الزوج والأولاد، تتمنى لأسرهما السعادة.. في محافظة "كفر الشيخ" وقعت المصيبة..طلب الزوج من زوجته أن ترعى الأولاد وهتم بهم، فهو مسافر خارج المدينة لمدة ثلاثة أيام. يسافر الزوج دون أن يعلم تصريفات القدر، الأطفال يضحكون، والأم المخلصة تجلس لتعلّم طفلها الأصغر جدول الضرب، يتناول الجميع وجبة العشاء، قلبها حزين لسفر زوجها، لكن الأطفال يلعبون حولها.. تأمرهم بالخلود إلى النوم، هديهم قبلات ما قبل النوم، ينامون بعد أن غمرهم الزوجة من فيض حناها. ألمٌ غريب لم تعهده من قبل..ما قيمة الحياة وزوجها بعيدٌ عن عينيها؟!

مر اليوم الأول من سفره بطيئًا مملًا، لم تستطع الحبيبة النوم في تلك الليلة المؤلمة.. عاد الأطفال من مدرستهم، أعدَّت لهم طعام

الغذاء.. مُكرَهة وهى تأكل، تخشى إذا لم تأكل ربما قلدها الصغار. تذكرت بدايات حياهما معه..أول لقاء، أول ضحكة، حتى أول قبلة، ضحكاهما..أطفالهما. أخذهما سنة من نوم، سرعان ما استيقظت على طرقات الباب، تنهض، تفكّر: هل سيعود الزوج الآن إلى بيتها، وتعود معه الضحكة والفرحة والحياة؟ أسرعت الزوجة إلى لقاء زوجها..تمد يداها لتفتح الباب؛ فحبيبها قد عاد والنشوة تتملكها..وبسرعة..يخطفها عشرة من الذئاب البشرية، الذين علموا أن زوجها غير موجود في المترل، فاتخذوها فرصة لتنفيذ جريمتهم الشنعاء. ضربوها، اقتادوها إلى مكان بعيد في الزراعات.. تعالت ضحكاهم.. يتناوبون عليها بلا رحمة، بلا ضمير.. سيدة مسكينة تواجه حيوانات مفترسة، كابوس مفزع وصرخات مكتومة: الرحمة، النجدة.. لم تصدِّق سيدة "كفر الشيخ" نفسها وهى تلملم ملابسها الممزقة، ونزيف الدم يسيل.. المصيبة أكبر لو استيقظ الأطفال فلم يجدوا أمهم.

يستمر الاعتداء عليها حتى صباح اليوم التالي.. فر الجناة المجرمون بعد أن تركوها تصارع الموت.. عادت إلى بيتها، حكت لزوجها الذى عاد لتوه من السفر، وقد استقبل الخبر فصمد، وثبت. واصطحبها معه إلى قسم الشرطة. ظل رجال الشرطة يبحثون ليل نهار عن الذئاب البشرية.. ألقوا القبض عليهم.. وقف الجناة أمام القاضي، وفى سابقة تاريخية، يُصدر القضاء

المصري حكمه العادل، الإعدام شنقًا لهؤلاء السفلة.. فتحية إلى رجال الشرطة الشرفاء، وتحية إلى القاضي العادل. مرت على هذه الحادثة ثلاث سنوات، ولكن منذ أيام قليلة، التقيت السيدة وزوجها في نقابة الصحفيين بــ"القاهرة"، حكت لي الزوجة وهى تتألم: "عايزة أروح مكان ماحدش يعرفني فيه"، تهرب المسكينة من نظرات المجتمع القاسية، ترفضها.. يخبرني زوجها الطيب: "بقى لها (٣) سنين من يوم الحادثة، وهى قاعدة في بيتها، مش قادرة تخرج، مش بتضحك، ضاعت أحلام الزوجة، الخوف يسيطر عليها.. "أنا خايفة على أولادي. ممكن يحصل لهم كدا في يوم جاي". تبكي، وأنا لا أجد ما يهوِّن على الزوجين حياتهما، خاصة والزوجة تؤكِّد: احنا نقلنا من البيت (٣) مرات..كلام الناس قتلني وأنا مظلومة. فعلًا هي مظلومة ومسكينة، وُلدت بين مجتمع غريب، يحكم على سيدة مغتصبة بالخزي مدى الحياة، قتل نفسي مع سبق الإصرار والترصد. وفي نفس الوقت يهلِّل المجتمع لذوي القوة والجاه والأموال الحرام!! يسعى إلى تقبيل الأيادي السوداء، يهتف بالروح والدم لكل من يدفع. ضاع الدين الحنيف الذي أمرنا باحترام المرأة وحسن معاملتها.. غابت النخوة والمروءة، واحتلت المظاهر الكاذبة أمور حياتنا! ما ذنبها الزوجة المكلومة؟! غريب أمرنا حقًا، نحتقر ضحية بريئة، نظلمها ونفرح أيما فرحة بمقاطع فاضحة على الهواتف المحمولة.. ندَّعي التقوى ونتحرش بفتيات مجتمعنا!

لماذا لا يتحدث رجال الدين وشيوخ المساجد عن الآداب والأخلاق العامة، كما يتحدثون عن تغطية المرأة؟... أليس من

الدين غض البصر واحترام الآخر وحقوقه، وإماطة الأذى عن الطريق؟

لقد حرم الله سبحانه الأعراض كما حرم الدماء والأموال، وخطب بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم في آخر حياته وفي موقف من أعظم المواقف. ومما قال في خطبته تلك:"فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، فليبلغ الشاهد الغائب".

حالات التحرش تحدث يوميا، الاغتصاب على عينك يا تاجر، حتى من المعلمين في مدارس "التربية والتعليم "

وكم آلمني أن أقرأ خبرًا نشرته جريدة "المصري اليوم" مفاده أن نحو ٢٥٠ ألف شاب مصري تقدم بطلب للهجرة إلى عدد من الدول العربية والعالمية.. أقدر كيف يلهث شباب بلدنا بحثـاً عن وظائف.. فرص العمل الوهمية والبرنامج الانتخابي للرئيس أصابا الشباب باليأس والإحباط.. الهجرة حرية، والمظاهرات المصرية يعيبها الاعتقال والضرب والحبس في أحيانٍ كثيرة. ناهيك عن الارتفاع -التاريخي- لأسعار الذهب بالسوق المصرية، (الشبكة) في عُرف المصريين ضرورة لابد منها، وعلى قدر ما تقدمه لعروسك يحترمك أهلها، من أين يأتي الشباب العاطل بثمن خاتم ذهب؟ وهو قطعـاً في مجتمع لا يستطيع فيه أن يلتمس خاتمـاً من حديد..

ليس لدينا اتفاق مجتمعي حول آداب الشارع وسلوكياته من غض البصر ورد الأذى وغيرها، ولا عقوبة على من يخالف تلك السلوكيات. التحرش فعل عدواني، ومن يدقق يجد أن أسباب السلوك العدواني متصاعدة في مجتمعنا. فهناك أسباب قديمة مازالت قائمة، مثل الزحام والتلوث ومشاكل التنشئة والمشاكل الاقتصادية وغيرها. الطاقة لا تستثمر، ولا توجد كوابح للسلوك، وتنتشر حالة خواء كامل لا إنساني وقاتل لدى شباب كثيرين... يبحثون عن دور، ولا يجدون.. مما يجعلهم يوجهون طاقاتهم لممارسة مثل هذه السلوكيات الشاذة العدوانية على الآخر، الذي يكون في هذه الحالة.. امرأة.

ظاهرة أصبحت تمارس في وضح النهار وبشكل جماعي دون خجل أو استحياء. أصبحنا نهتم بتغطية الرءوس وتعرية النفوس. في اليابان يعلق هذا المجرم الذى ارتكب جريمة التحرش على أحد أعمدة الشارع، ليكون عبرة لغيره. فضح وتجريس.. وسيلة ردع كان المجتمع المصري يطبقها، حين كان يزف المخطيء علي حمار خِلف خلاف في القرية، أو يرسم له الحلاق فوق رأسه خرائط، عقوبة له على معاكسة إحدى فتيات المنطقة.

بقيَّ أن أذكِّر الدكتور محمد مرسي العياط بأن الشباب في "مصر" هو مستقبل هذا الوطن، فإن قتله الفساد؛ فإنه لا مستقبل لبلد يعاني حاضره من الجهل والفقر وفساد الضمائر.

الفهرس